

أمير الزاوي



Scanned by
Jamal Hatmal

أبو عبدو البغل

<https://facebook.com/groups/abuab/>

السَّمَاءُ الثَّامِنَةُ

رواية

أمين الزاوي

السماء الثامنة

رواية

..الإهداء :

الى رشيد و نصر و مصطفى و الآخرين،
اسمحوا لي ان افتحت قلبي بهذا الاتساع،
و الربيعه التي وقعت حراة هذه
الايام بطريقتها الشعرية الخاصة

د / أمين الزاوي

من إختلط بالناس عرف الدنيا
و من إختلط بالنساء عرف نفسه
و عرف الدنيا و الآخرة .

- أمين الزاوي -

مصدر المؤلف :

- صهيل الجند : (رواية) - دمشق -

1980

- ويجن الموج (متدادا) : (قصص) - الجزائر

و دمشق 1981 - 1983 .

-كيف عبر طائر فينقس البحر المتوسط :

(قصص) - إحياء الكتاب العرب - 1980

- التراس (رواية في شكل لوحات قصصية)

جامعة وهران / 1984.

-هابيل (رواية الكاتب الجزائري محمد ديب)

الترجمة إلى العربية - دار الجليل 1980 .

نحيف السحنة ، هذا الأول ، عود ثقاب ، دعائه ، خفة دمه و لهجته
توحى لك بأنه من مدينة < الغزوات > الساحلية ، مدينة عشاق
السردين و النبيذ و التهريب و اللغة الإنجليزية ، الفرنسيون في الزمن
الأزرق سموها غور ، بعض الشيوخ لا يزال يتداول هذا الاسم ، عبره
يستعيد حكايات الناكرة ، ، الفرنسيات و الإسبانيات و المروكيات
يا زمن السهرات < الباو و الكرونبوغ > .

قال نحيف السحنة ، عود الثقاب للذي يقابله ، يتمدد على السرير
بجزمته و بلوح أمام وجهه < بكسكيطه > التي غم بها وجهه الأسمر
البرونزي .

تاريخ ملوحة البحر على جلده المشوي .

- عندك قارو ؟

الثاني النحيف هو الآخر .. أبيض مانل لونه إلى الأصفر الزعفراني
مجلجل بريري ، ملوح الصفرة الببضاوية بشمس يوليو الحادة . ساهم
ساكت ، رمى للذي طلب سبجارة حتى دون أن يرفع عن عينيه
كسكيطه الزيتونية اللون ، و التي تحول لونها الأخضر هذا عند
السفيفة و الخوافي إلى أسود داكن .

طقس للبريري .

طقس للساحلي .

أعطيني النار .. قالها بالفرنسية .

دون أن يرفع كسكبطته من على وجهه سحب عليه الكبريت رماها
حيث مصدر الصوت .

الغزواتي / الساحلي يريد أن يشعر الآخر ذا اللون الأبيض بالصفرة
الزعرانية ، أن عطلة العبد الإسلامي هي أجمل العطل .
- المهم إنني عيدت مع < الميمة > .. أن تشهد ذبح خروف الأضحية و
في حصة الأم الحاجة .. هذا هو العيد ..

كان الغزواتي يستعرض صور الإحتفالات ، و الهيري يستعيد
حكايته مع مجموعة من الأجانب الألمان إلتقى بهم في واحدة من
جولاته في أوروبا .

كان الليل ليلاً فحمياً لبس كليلينا في بلاد القبائل ، كانت البيرة و
الوسكي و الغابة و الفتبات ، و الغناء ، لا أحد يسمع الثاني و لا
أحد لا يسمع الثاني .

رقصنا كثيراً ، رقصت و شربت ما أعرفه ، و مالا أعرفه ، راقصت
النساء و الفتبات لون بشرتي على بياضه الأصفر اوي هذا أمام لون
بشرتهم المسكوب من أبيض بياضي ، مائلا إلى الإزرقاق .. هكنا
شعرت ، هو شعور لم أستطيع تفسيره ، لكنه هيمن علي في بداية
السهرة ، شراب هو من النوع الذي لا أعرفه هو الذي أنقذني من
التقنذ حول نفسي .

ما تعلمته من الألمانية كان كافيا لقضاء مآربي .

في تلك اللحظة فكرت في الزواج بكل النساء اللواتي راقصتهن ، و
كلما فكرت في هذا الأمر يسقط ، حين أرى شابا يراقص هذه أو تلك
الغزواتي يجنبن كالذئابة . أتركنا في هنا يواجه الهم .
السهرة طويلة ، و اللسان طويل ، و حين يطول اللسان ، من الأفضل
أن يقطع و يرمى للكلاب المسعورة .

تحدث الألمان عن الأكلات التي تميز المائدة الجرمانية شرقية كانت أم
غربية لم تعجبني أكلتهم التي تدخلها الطماطم كل لحظة .. إسباني
معنا أكتشفه الآن فقط . ساكت لا ينطق إلا ليفني ، عرفت في
الأخير أنه لا يفهم الألمانية ، شعرت بنوع من التقارب العاطفي تجاه
الإسباني حين يطلق صوته في السماء لست أدري لماذا يذكرني بزياب
.. تكلم الإسباني ، لا أذكر اسمه ، عن البايلا هي أكلة جميلة ،
الإسباني هو الذي دفعني كي أقول مالا يجب قوله .

العبون تتجه الي تنتظر مني أن أحدثهم عن أكلة جزائرية شعرت أنهم
كانوا ينتظرون أن أحدثهم عن < الكسكسي > لكنني أردت مفاجأتهم ،
بدأت الحديث عن < المنسوف > و هو خروف مشوي ، كان إستقبالهم
لحديثي عاديا ، لكنني تحمست كثيرا - قلت لكم ، اللسان إذا طال
يجب أن يقطع و يرمى للكلاب المسعورة - قلت لهم أحضروا خروفا
أذهبهم ، سقطت كلمة الذبح عليهم كالصاعقة دون أن أنهي شرح طريقة
تحضير الأكلة ، أنسلت المرأة التي كانت في حضني

شمرت بجسدها قد تجمد و كان قبل لحظات فائرا بغلي .
قلت لكم اللسان إذا طال يجب قطعه من البلعم حتى لا يهت مرة
أخرى ، بهذا الطول و هذا الطمروح الزائد عن اللزوم ، الذين كانوا
يشربون و يذنون و يفرحون إنطناوا .. شخسخوا في كلامي كما
تشخسخ الجمرة في الماء ..

تفرقوا .. عادوا إلى خيامهم للزيم أو لانتظار الصباح ، و حده
الإسباني - - إين هاني: الأندلسي مكث الى جنهي أحسست بشعور
عميق أناس ..

قال لي الإسباني : تذكرت اسمه ما كان يجب نسيان اسمه أنطونيو
كان صديق لي ، و بنهني إلى طول لساني أنذي بجلب و جع الرأس ،
أمني فهمت كل كلامه ، مراسلتي المديدية هي التي
عرضتني علي تعلم الإسبانية ، خدعتني و لكن رسائلها التي لا أزال
أحتفظ بها ، فيها كثير من الشمر و الأحاسيس الإسبانية الصادقة ..
ربما لساني كعادته هو الذي أفسد علي قراءة رسائل الإسبانية ..
في البداية كنت أعطي الرسائل لصديق لي لقراءتها و الرد عليها ، كان
علي فقط أن أملي عليه ما أريده بالفرنسية ..
كان تعلمي للغة الإسبانية رد فعل ضد صديقي الذي أراد أن يصادر
المرأة المراسلة ، لقد بدأ يكتبها خفية .

كانت صادقة، نحن العرب غير صادقين ، قلوبنا فيها الدود و السموم
و الذهان الأزرق .

أرسلت إلي بكل الرسائل التي بعث بها إليها صديقي .. ضحكت منه
تخاصمنا ذلك المساء سال الدم من أنفه .

و في اليوم التالي سجلت إسمي ضمن قائمة طلاب المركز الثقافي
الإسباني ثلاثة أشهر كانت كافية لتعليم هذه اللغة .

التعليم بالقلب أجدى من التعليم بالعقل .

جميع التمارين كنت أقوم بها على رسائل < مارغريتا > .

يمكنني أن أستعيد الآن فقرات منها .. لقد كانت رائعة .

على الرغم من أنها كانت تبعث لي برسائل صديقي الموجهة إليها و
الملبنة بها .. مما كان يجعلني أضحك منه ، أذكر مرة أنني أضحكت
عليه مجموعة من الأصدقاء في مقهى < المنصورة > التي كنا لمجلس
فيها كل يوم عند الساعة الخامسة ، يومها غضب صديقي كثيرا ، و
أقسم أماننا جميعا أنه سيدعوها إلى زيارة الجزائر و أنه محرج لأمر
واحد هو أخوته و عائلته .

فرحت كوني إستطعت أن أكتب إليها رسالة بالإسبانية دون إستشارة
أو تصحيح من أحد ، لقد شعرت بإستقلال لغوي .

يالله كم هو لذيق الشعور بالإستغناء عن الآخر و كم هو قبيح الشعور
بالعطب و الشلل و العجز .

توقفت رسالتها عني .. وفي الصف الموالي رأيتها هام عيني تسير
فراعاها في ذراعه في شارع العربي بن مهيدي .
قطعت آخر علاقاتي بصديقي .. يقول أخوه الأصغر أنه سافر معها
إلى إسبانيا و أنهما تزوجا و أنه يملك فندقا ضخما بخمس نجوم ...
الدنيا حظ .. و أن له حرسا و أنه شارك في الحملات الإنتخابية
الأخيرة في إسبانيا لصالح حزب زوجته الذي حصل على الأغلبية في
البرلمان ..

الدنيا حظ .. كان بالإمكان أن أكون أنا هو .
و لكن ربما بإمكانني أن أفتح علاقة مع واحدة من الألمانيات لكنني و
كما قلت لكم اللسان الطويل يجب قصه من الجنود ..
حكاية أكلة < المنسرف > هي التي نسفت كل شيء .
و الكلام الزائد في السياسة و الأدب ان المقارنة هو الذي جعل
< مارغريتا > تتخلى عن مراسلتي بمجرد أن أكتشفت في صديقي
الجدمة و الهدؤ و الإبتعاد عن الكلام الفارغ .. بيني و بينكم معها
الحق و ألف حق فأنا متخلف و أفكار إقطاعية محوم برأسي في كل
لحظة .

الذين كانوا معنا في السهرة تلك الليلة الجرمانية تفرقوا في الصباح
التالي لقد هلعهم حديثي عن ذبح الحروف .
الفتاة التي كان بالإمكان أن أدخل معها في الحملة الإنتخابية إلى
جانب حزبا الداعي إلى نفس حائط برلين و توحيد الألمانيتين .

قالت لي في الصباح ، لحظات قبل أن تركب سيارة < فولكسفاجن > .
كنت دائما ضد الأفكار التي ترى في العرب قوما فاشيين وقتله و
إرهابين ، لكنني و بعد أن تبيننت من أن بإمكان مشقف ماركسي أن
يذبح خروفا و يتمتع بالدم يسيل من الرقبة أحمر فوارا فإني أعتقد أن
العربي بطبعه دموي ، حاولت أن أقنعها أن الأكلة التي حدثتهم عنها
هي فصل في حكاية خرافية أصلها صيني و أنها جاءتنا عن طريق
تجار الحرير و الذهب و الملح الذين كانوا يسافرون إلى سنغافورا .
- و حين حاولت أن أقنعها بأن لغتي الألمانية الضعيفة خانتني في
التعبير كانت قد جلست الى جانب صديقها التي لم تفوه حتى بعبارة
الى اللقاء .

حين غادر الجميع المكان ، لم يبق غيري و الإسباني .
قلت له بحماس زائد ، كالعادة بلساني الطويل الذي يحتاج الى قص
من الهمم :

- يخافون من الدم و هم الذين قتلوا اليهود و أهادوهم جميعا .
الإسباني كان ساكتا ربما أثر فيه شراب الباردة .
قضيت صحبة الإسباني ليلة أخرى ندمت عليها ، لأنني تصرفت تجاهه
تصرفا أحق ندمت عليه .
هو لم يثر فيه الأمر أي شئ .

أما أنا فقد خجلت من نفسي ، لقد شربنا قليلا أو كثيرا في حانة
متوسطة مكثنا هناك حتى آخر الليل .

و حين عدنا إلى الفندق طلب أن أرافقه إلى غرفته الموجودة في
الطابق العاشر .

رافقه ووقع الذي أخجل الآن أن أحكيه لكم ، لم يكن الشراب هو
السبب لا ذنب للخمر في ذلك لقد كنت في كامل قواي العقلية ، حين
نمت معه و مارست معه ذلك الشيء الذي نخجل في بلاد الإسلام من
التحدث عنه .

قال لي الإسباني في الصباح حين كنا نشرب القهوة على سطح الفندق
، و قد بدت علي بعض علامات الخجل ، يبدو أنه لم يمر الأمر أية
أهمية :

-تقافلتك الإسلامية ضعيفة .. فأنت لا تعرف شيئا عن الغلمانيات .
ما قرأناه في الثانوية من نصوص أبي نواس و بشار ابن برد و غيرهما
لم تقدم لنا شيئا مما يحكيه الإسباني الآن ..

يبدو أن فضائحننا ذات جنود عريقة في التاريخ .

أضال الإسباني و هو يشرب كأس عصير الطماطم بطريقة بدت لي
مفرقة .

لقد أخذ الأوروبيون عن العرب ، الحمر و التمر و الغلمانيات .

انكم في العالم الإسلامي تراجعتم عن حضارة الغلمانيات التي
ازدهرت في العصر العباسي

وهو العصر الذهبي في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية .
كان الإسباني يتحدث عن حضارتنا في الشرق والغرب في الأندلس .
وفي الجمهوريات الإسلامية السوفياتية ..
تحدث عن ابن رشد و ابن هاني و إن زيدون و أعتبره أهم شاعر
رومانسي ألمجته البشرية .

كان يتحدث و أنا أسمع كالجاهل ، قلت له من ابن لك بهذه
المعلومات ؟ عرفت بعد ذلك بأنه أستاذ في جامعة قرطبة ، و أنه أستاذ
علم الجمال و الفلسفة العربية الإسلامية الوسيطة .
على الرغم مما كان يحكيه من و قائع مخجلة عن الخلفاء و الفلاسفة و
الفقهاء . إلا أنني شعرت بنوع من الإعتزاز ، فنبئت لو أنه حكى ذلك
أمام الجرمانيين الكلاب العنصرين .

اللغة الألمانية هي التي خدعته و لم تتركه يتدخل لشرح لهم بأننا
شعب لنا حضارة أخرى ، غير حضارة القتل و الدم التي أنطبت
صورتنا من جراء ممارسات سلطة النمبري و التميمي و تصريحات
الزعماء الدينيين الملبثة بالإرهاب و التي تشبه تصريحات حزب
< كاهانا > اليهودي .. الأمر الذي يجعلني متيقنا الآن أن الأحزاب
الدينية مهما كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية فهي في جوهرها
دموية .

عرض علي الإسباني و هو أستاذ جامعة برتبة كرسي أن أسافر معه الى قرطبة و أن أعيش معه هناك ، الى جانب زوجته الرسامة المعروفة و إبتها المعوقة التي لا تفرق كرسيها المتحرك و التي لها صوت أوبرالي رائع و تكتب شعرا رقيقا ، قدمت عنه حتى الآن ثلاث أطروحات جامعية.

و أنها نالت عن ديوانها الأخير جائزة من اليونسكو .

قال لي الإسباني هيا لتعش معنا تصحب إبتنا < فيوليتا > الى المكتبة الوطنية و الحفلات الموسيقية ، و ترتب لها بردها ، و تغبر لها المطرح الذي تجلس عليه في كرسيها المتحرك مرة كل ثلاثة أيام و ترافقها أيضا لقضاء بعض حاجاتها .

فكرت في هذا العرض .. قبل أن أجيب طلبت قهوة معصورة .

الإسباني أيضا طلب لنفسه شيئا لا أعرف ما هو شئ شبيه بالعصير جاء القرصون الأنيق ، تكلم قريبا في أذنه عرفت أنه يخبره بأن له مكالمات هاتفية .

قام الإسباني بعد أن قدم لي إعتذاره ، المرة الأولى التي أحقق في جسده الأنيق تتبعته بعين خبيثة غير أخلاقية حتى دخل غرفة التليفون ، الزجاج الرمادي هو الذي أخفى عني قسمت جسده المبروم < كالبيرواك > - زوجتي تطلب مني أن أدخل حالا .. إنها تفضل أن تحتفل بعيد ميلادها في مدينة < العيون > التي ولدت بها .

أنا ضد هذه الفكرة فالمدينة التي زارها الأمين الأممي مؤخرا تنذر في كل لحظة بانفجار دموي ..

إنها مصرة على ذلك ، قالت لي حين حاولت أن أقنعها بالعدول عن هذه الفكرة ، و أن تلتحق بي الى ألمانيا - لو أنني و لدت في بيروت فلن أحتفل بعيد ميلادي الخمسين سوى في هذه المدينة .

بدأ يتحدثني عن زوجته و كأنما كان يخبرني بها . تركني للحظات ، قال لي سوف أطلب منهم أن يحجزوا لي مكانا في أول طائرة إلى مدريد .

بقيت و حدي أبحث عن نفسي .. الإسباني يخبرني ، واداء سنتين من الخدمة العسكرية في بلادي يدفعني الى الإبتعاد و عدم التفكير في الرجوع أصلا .

قبل أن يعود أنطونيو الى الطاولة التي نتقاسمها ، كنت قد قررت أن أذهب معه و أبحث عن غريمي هناك ، ذلك الذي صادر مني «مرغريتا»

و قررت أيضا أن أرتكب في حقه جريمة . سيسكنه الرعب بمجرد أن يعرف أنني موجود في هذا البلد .

من اليسر جدا العثور على عنوان أو تليفون شخصية مثل غريمي .

سألتني له أسأله عن أحواله و عن < مرغريتا > و عن الحزب الذي يقوم بالدعاية له في الإنتخابات البرلمانية ، كما في الأفلام الهولسية ، سألعب لعبة المضارة ، سأقتل كل أثار للثقافة الألمانية في داخلي .. سألعب المسرحية الى آخر لقطة .

حتى أسحب مرغريتا من بين ذراعيه ، إبن الكلب لا يستحقها ، ضحك عليها أكل فلوسها و أسس شركات كهري من أموالها أنا إبن البلد أعرف اللغة التي أستعملها معه < خروف بلادي > .. سأعظم عليه السقف .

فيوليتا شاعرة من نوع خاص ، زوجة أنطونيو هي الحل ، و المنفذ الى قلب هذه المرأة .

خمسون سنة إنها ليست مسنة .. أنطونيو يحدثني عنها كمراقة ، حبها ركوب الخيل و مص أصابع الثلج في الشارع ، و الإستحمام على شواطئ السنغال عارية تماما .. لإنطونيو نية أخرى .

أعرف مرغريتا على زوجة أنطونيو ، أشعرها بأن بيننا علاقة ما ، يجب أن أكون مع زوجة أنطونيو مراقا بكل معني الكلمة ، لن أحدثها عن الثقافة أو الأحزاب التي تتناسل يوميا في بلادي ، كل هذا كلام زائد ، شبع منه حتى تقياته .

سأخذني بين ذراعيها و تقول لي أحك لي حكاية خرافية من حكاياتكم التي لا علاقة لها بالواقع ،

أحك لي حتى يطلع الصباح فانظوني لن يهرد من باريس الا في
طائرة السادسة صباحا ، اتريد أن تشرب نوعا معيناً من المشروبات
الكحولية التي تهيج الأفريقي و الحاكي .
- أعطيني أي شئ يسكر كثيرا و كثيرا .
- لكن عليك ألا تنام و تتركني أمام كومة اللحم المرتخي .
ضحكت ، اعجبني كلامها ، تحدثت كالشوارع .. ذات ليلة قالت لي
عليك أن تتعري أريد أن أصنع لجسدك < هورتريه > .
الليل بطوله قضبته عاريا ، وهي تحلق في دقائق جسدي ، بعد هذه
الحادثة لم أسألها فيما اذا كانت قد أنهت الهورتريه على الرغم من أنني
لم أكن راغبا في رؤيته قالت لي ذات مرة : لم تسألني عن
<< الهورتريه >> الذي وعدتك برسمه و لأنني كنت أريد أن أهرب من
الموضوع ، فقد غيرت مجرى الحديث ، الا أنها عادت إلى قضية
الهورتريه قائلة .
- الهورتريه سأهديه لمرغريتا ... مرغريتا التي سبق و أن عرفتني
عليها أنها تستحقه ، أنها فتاة رائعة .
سأقدم لها بمناسبة عيد ميلادها .
قلت لها :
- عيد ميلادها يوم 14 / 04 هو يوم لا يمكن أن انساه فقد
كنت انتظره بمشغف كي أبعث لها التمر و الحناء المدقوقة .
آه يا ابن البلد سأوجع رأسك و أنت على سريرك .

بين قالت بأنها سوف تقدمه هدية لمرغريتا طلبت منها أن اراد ، قالت
لي غدا نزل إلى المرسم هناك تستطيع أن تراه .
في اليوم التالي ذهبنا أرمعتنا إلى المرسم ، الأستاذ أنطونيو وزوجته
ابنتهما و أنا .. حين رفعت الازار الأبيض الذي كانت تغطي به اللوحة
شعرت بلحمي يتشعر .

في الحقيقة لقد خجلت من نفسي ، ولأول مرة أميز ضخامة عضمي
الجنسي ، لا أعتقد أن المسألة بهذا الحجم ، الفنانة هي أرادته بهذا
الحجم ، كانت إبتها تنظر إلى اللوحة ثم تنظر إلى منتصف جسدي .
أدركت ما في عينيها ، علقت على اللوحة بعبارة واحدة .
- تستحق أن تهدى لا مراة جموحة كتلك .

الأب هو الآخر كان ينظر إلى إنتصافه جسدي ، ربما تذكر بعق عميق
الليلة التي قضيناها معا في المانيا ، كانت ليلة جرمانية حقا .
- اخترت لها هذا الشكل الإسلامي لأنها متزوجة بعربي إنه تعبير
عن جهما .

سكت الأب ، كنت متيقنا أنه يريد أن يقول شيئا ، إني أعرف جيدا
ما يدور بخله إنه يريد أن يقول لزوجته أتركي لنا هذه اللوحة ذكرى
هذا الرجل .

كنت أعرف أيضا أن الزوجة أدركت ما يدور في رأس زوجها .

و يبدو أنها كلما حققت في اللوحة ، تحاول أن تتراجع عن قرارها .
أما أنا فقد كنت متحمسا أن تكون هذه هدية عيد الميلاد ، إنني أريد
أن أكون وجع الرأس بالنسبة لغيري ، إنني أحقد عليه كثيرا ، و
أتمنى له الموت .

أن تطحنه سبارة أو آلات مصانعة .
هلقت بهبارة واحدة ، أردت أن أقطع كل خيط أمل في رأس
أنطونيو - هذه اللوحة تستحق أن تكون هدية .. لا أريدها أن تبقى
في المنزل إما أنا أو هي ، هلى واحد منا أن يرحل .
ضحكوا جميعا ثم خرجنا من الرسم ، ستة عيون كنت أحس بها تاكل
ظهري تنهشه نهشا .

كنت أتخيل صورتي بهذا العرى تواجه غريمي .
ستنفض في داخله كل الأفكار التي أعتقد أنه دفنها تحت ركام فلوسه
وشيكاته .

سبشكل حزبا دينيا لمواجهة اللوحات العارية في كل إسبانيا و بلدان
السوق الأوروبية المشتركة .

سيدخل حزبه في منافسة سياسية ضد حزب زوجته .
سيشتري الأصوات و يفوز بالأغلبية و يدعو الى أسلمة إسبانيا و
يفرض غرامات على كل الشعب الإسباني لأنه إرتد عن الإسلام .

فكرة هائلة تحتاج إلى زعيم سياسي بلمغة دينية ، هو لا تتوفر فيه هذه الصفة.

ربما سيستنجد بي ، أنا تهمني مثل هذه الامور ، ما أريده من كل ذلك هو أن أجلب له وجع الرأس ، أن أخطف من بين يديه زوجته و لو لمدة ثلاثة أيام أتزوجها أهنئ في وجهها ثم أنصرف .
كمي أحق كل مشارعي هذه علي أن أقرأ سيرة طارق ابن زياد ، هو البهري الوحيد الذي استطاع ان يغير مجرى التاريخ على المسلمين جميعا أن يتهربوا و أن ينصبوا لطارق بن زياد قشالا من المرمر الفارسي في كل ساحات المدن الإسلامية ، هذه الشخصية ، كان على العرب أن يقرأوا إستراتيجيته في عبورالبحر كي يعبروا القناة للدخول إلى فلسطين ساكنون أنا الشخصية المسلمة الثالثة التي تعبد للإسلام صورته الحقيقية ، ربما تعود كل الاسباب التي ادت إلى فتح أو غزو الأندلس إلى حب طارق ابن زياد لإمراة جميلة سقطت في حباتها ، وحين أدركت حبه لها قالت له أهلي يرفضونك لآنك أفريقي متوحش و عليك ، كي تتخذي لك زوجة أن تفتح اسبانيا و تغير دينها و سلطانها و لفتها ، شرب طارق في ذلك المساء كثيرا من الخمر و تناول قليلا من الحشيش المزروع فوق السطوح الترابية و قرأ في بعض الكتب البهريّة و الإسلامية عن غيرة النساء و خداعهن .

دخل عليه واحد من مساعديه قال له :

ماذا تقرأ ؟ هل يحتاج الزعماء إلى مثل هذه الكتب كي ترتفع مداركهم و تتعزز أفكارهم ؟

دخل طارق ابن زياد مغارة مكث فيها سبعة أشهر و ازداد أربعة قرأ خلالها سحر النساء و سحر الزعماء و علاقاتهم بالنساء .
كان يقرأ و يضحك ، يقرأ و يبكي ، كان يأكل الخبز حافيا و يشرب دموعه قال له أحد مساعديه كيف تشرب الدموع و هي مالحة ، ضحك طارق و قال :

الآن انفصلت عن العامة ، من اليوم علي أن ابدأ في رسم الخطة التي ساطبها كي أقتحم البحر و أعبره .

و في اليوم التالي سأله ذات الرجل عن سر شرب الدموع بدلا عن الماء لم يجبه طارق لأنه اعتبر ذلك من أسرار الحرب التي عليه أن يحتفظ بها في قلبه ، ولن يبرح بها إلا للذين سيمهرون معه البحر في تلك السفرة الحربية العظيمة .

- النساء حرب دائمة :

على العشاق و الزعماء أن يتعلموا من الرسول العربي فهمه للمرأة و عليهم مدامت ذكرتهم ضميعة أن يحفظوا بيتا شعريا واحد لمحمود درويش (و المرح ليس يؤلم إذا لم يكن جرح النساء) .

بعد خروج طارق من عزلته ، لم يبق ماء إلا ماء دموعه ، كان يهكي على

حييته ، فتسيل دموعه فيجمعها في كؤوس من فضة فيشربها ، كان عليه أن يدخل الجنود إلى عزلة مثل عزلته .

أن يهقبهم تحت الأرض مدة مثل التي قضاها هو ، أو أزيد حسب إيمان الأفراد .

في النهاية ، حفر الانفاق أدخل إليها مئة و ثلاثة وسبعين رجلا وخمس نساء . - من أن يعرف الرجال أن من بينهم نساء ، و دون أن تعرف النساء رجالا من بينهن .

عرف وفارق منذ اللحظات الأولى أن النساء ادركن أن رجالا من بينهن وشربن . - هم مع العلم أن نظام الاعتزال يمنع الكلام .

أخيرا ، - جاء ، كان هذا الدرس الأول الذي تعلمه طارق من العشرة أيام من نظام الاعتزال .

لذا سجل الملاحظة الأولى ، لن يقود الجيش العابر للبحر إلا امرأة أو رسولا يعطي برهان نهوته و تؤمن به النساء أولا .

الرسول العربي ما كان لرسالته أن تعرف هذا النجاح لولا إيمان < خديجة > ، إنها المرأة التي تحتاج إلى دراسة لا اكتشاف سر

إنتصار الشريعة .

ان في شخصيتها أسراراً لم يكشفها الدارسون .

كذب المؤرخون حين اعتقدوا أن موسى ابن نصير سكنته الغيرة من
الفاتح البربري ، الغيرة التي تحدث عنها البعض ماهي الا الخجل الذي
يصيب العربي المسلم حين يعرف أن وراءه لجاح ما إمراة ، كذا ما
أصاب موسى ابن نصير .

الواقع ، أنا لاتهمني الزعامة العسكرية أو السياسية ، ما يهمني في
الموضوع برمته ، هو دور النساء ، وكيف يتم إستغلال طاقتهن غير
المحدودة لمواجهة غريمي في اسبانيا .

و أخرج طارق النساء في الأول فقد تعلمن فن الحرب و الاعتزال
في مدة أقل حتى من تلك التي قضاها هو .

و بعد هن مكث الرجال الذين مات منهم سبعة و ثلاثون فردا ، قضوا
نحبهم بعد أن شعروا بهجزهم ، تسعة منهم انتحروا لانهم لم

يستطيعوا الانتصار على رانحة النساء في هذه الاتفاق ، خاصة أيام

نزول دم الحبيض ، الذي لم يستطيع طارق إبن زياد ان يجد طريقة

لحبسه في رحم النساء لقد بحث في كتب الفقه و الفلسفة اليونانية

و الطب الصيني وأستعمل حتى الموسيقى الهندوسية التي تخرج

الافاعي المدفونة من تحت التراب الاحمر الدافئ .. كان ذلك فشلا

ذريعا .

فكر في ان يحول الميزة النسائية إلى مكسب يمكن استعماله في بعض
الحالات الصعبة .

لقد نجح في تحويل دم العادة الشهرية إلى دواء ضد الجرب ، بعد أن احتكر تجار الحرير والملح تجارة الكبريت .

كانت النساء مهتهجات بانتصارهن ضد الرائحة الكريهة التي ترسلها أجسادهن كل شهر خلال أيام العادة الشهرية .

و لأن الجرب كان متفشيا فقد اكتشفت النساء أهمية هذا الدم الكريه الذي ينزل من أجسادهن كل ثمان وعشرين يوما .

لقد انقلبت الأمور ، طارق ابن زياد هو الذي قلبها ، فعوض أن تخفي النساء سر نزول الدم كن يحتفلن بالواحدة منهن ، كلما نزلت القطرات الأولى ، كثرت الزغاريد و نتج عن كثرة الإحتفالات أزمة في البيض نظرا لان المرأة الحائض لم تكن تفضل أكل شئ سوى البيض .

أمر طارق ابن زياد علماء أن يعتزلوا كي يفكروا في إنتاج و صناعة البيض من عصير بعض الحشائش بإضافة خليط كميائي تحدث عنه جابر ابن حيان مع غموض في التركيب و قيم المواد الخلوة .

فشل العلماء ، بعد أن كاد أحدهم أن يحقق شيئا من ذلك .

النساء حين علمن باقتراب الاكتشاف خفن أن يصل هذا العالم إلى إكتشاف تركيبة دم الحبيض ، فبتضي على مرض الجرب دون العودة إلى النساء ، لقد دهرن له عملية قتل غريبة ، إذ كلفن واحدة منهن ،

للدخول عليه في عزلة ، ومراوغته حتى تجره إلى الفراش وكان الذي
دهرته النساء .

وعلم طارق أن العالم الذي أوشك على إكتشاف تركيبة البيض قد خان
القائد بكسر العزلة و أدخل إمراة إلى مخبره و أنه نام معها ، غضب
طارق و دعا علماء البلد البهرية إلى الإجتماع العاجل لدراسة خيانة
عظمى وقعت في البلد .

بعد ست ساعات ، كما حدد ذلك بيان القائد العام جاء الشيوخ و
العقلاء و الفقهاء و الحكماء و الفلاسفة راكبين على البغال و الاحصنة
و لم يدع إلى هذا الإجتماع الشعراء لانهم يحكمون العاطفة في كذا
مسائل ، و قضايها مثل هذه وراعا إمراة جميلة .

قال طارق لا تبلغوا الشعراء ، سيحولون المحكمة إلى سوق المريد ،
فهدل أن يصدروا حكما سيكتهون قصائد غزل في المرأة ،
العاطفة هي التي قتلتنا ، العرب حين دخلوا شمال إفريقيا ، اخطر ما
حملوه إلى هذه المنطقة هو انهم حولوا البربر من شعب عقلاني يتحدث
بقلبه و عن قلبه . على عكس ما كان متوقعا لم يدافع العالم عن
التهمة < علاقته بالمراة > الا انه اخرج امام مجلس الحكماء الموقر
كبس نايلون مليئ بالمني ، ثم صرخ في الجميع :

عيب في بلد العقلانية ان يحاكم الجاهل العالم ...
انا لا أنفي ما سيادة الرئيس انني كنت على علاقة بهذه المرأة الجميلة
وانتي اضيف إلى علمكم ما تجهلونه أو ما لا تعلمونه هو أنني كنت
أمارس معها سبعة عشر مرة في اليوم هذه مهمة أتحدى أي أحد فيكم
أن يقوم برفعها .

العملية الكيميائية التي كنت بصدها و هي كما تعلمون واحدة من
أسرار هذه الدولة التي نحبها كما نحب الله ، وكثيرا من المرات تنسبنا
الله ، لانه لا يتشكل في شيء مادي محدد ، كما هو الشأن بالنسبة
للدولة .. أن التجربة التي تقوم بها عقول هذا البلد الذي حوله العرب
بعد دخولهم إلى محقة شعربة و مناحة للبكاء و الوقوف
على الأطلال ، تتطلب منا الجرأة الاخلاقية قبل الجرأة العلمية .
إيماننا مني بأن العلم دون جرامة أخلاقية هو دين .

وكما تعلمون فإننا لا علاقة لي بالنشاط الديني ، أقدر في العرب
المسلمين قوة العاطفة الشعرية و الجنسية و في اليهود قوة العبقرية
التجارية و في المسيحيين قوة التسامح .

سيداتي و سادتي ... قاطعه أحد أعضاء المجلس الموقر قائلا :
- لا توجد بيننا إمراة فكيف لك أن تقول سيداتي .

أجابه العالم بثقة كبيرة و يقين عظيم :

- إنني أعرف أن من بين الحضور أزيد من النصف من النساء ،

و اذا كنتم تروون خبر ذلك و أنتم مصررون على مواقفكم فهيا مكاننا ان

نعمرى جميعا آنذاك ستتكشف لكم الحقيقة .

- لقد جن هذا العالم .. عليكم أن تدخلوه إلى مستشفى الأمراض

العقلية .. إنه إضافة إلى ذلك اهان المجلس الموقر .

- أما عن المرأة التي كانت تزورني كل يوم و كنت أنام معها سبعة

عشر مرة في النهار ، فهدل أن يحاكمني مجلسكم المنور ، كان عليه

أن يأمر بتكريمي و إعطائي جائزة الفحولة التي اختفت من هذا البلد

واضهف إلى علم أعضاء المجلس المنور أنني لم اقم علاقتي مع هذه

المرأة على أساس عاطفي كما يفعل العرب المراهقون .

هل على أساس المصلحة العليا للبلد ، فصناعة البيض لا يمكن تحقيقها

إلا بإدخال المنى كعنصر أساس في تركيبها الكيميائية

- تدخل القائد العام الذي كان يمتشق سيفاً و يحمل مجموعة من

الاختام التي تستعمل عادة في بصم الوثائق الصادرة عن هذا المجلس

و الخاصة بحكم الاعداد ، قال القائد ، بلهجة حادة و حزينة

- أوقفوا المحاكمة .

صعد إلى المنصة و كتب قرار المحكمة الصادر عن المجلس المنور و قد

و قعوه جميعا و هذا نصه .

نحن أعضاء المجلس الأعلى لهيئة عقلاء بلاد بروس العظمى و بعد
المداولات والمناقشات القضائية والعلمية والفكرية قررنا يومه
الخامس من شهر يراير بالتقيم البربري مايلي :

- بعد أن تأكد للجميع من أعيان الدولة المباركة نزاهة العالم محندوس
أو سعدوس وأن علاقته بالمرأة لا تخل بالإيمان بالعلم والعمل ، ولا
بالله نطقت المحكمة بالبراءة للعالم ، وبالحكم بالإعدام على أعضاء
المجلس الموقر .

يتم التنفيذ فور الإتهام من قراة النطق ، و بموجب هذا البيان أيضا
يسمى سمادة رئيس بلاد بروس العالم محندوس أو سعدوس قاضيا
على البلاد للنساء والرجال و بموجب هذا القرار أيضا يحل المجلس
الأعلى للنساء لأنه لم يستطع رفع الدعوى الضرورية ضد المرأة التي
أخلت بالنظام والتراتبية المعترف بها في هذا البلاد .

و بموجب هذا القرار يتم تجهيزهن ، من الأملاك التي حصلن عليها
بمقتضى الوظيف السامي ، بموجب هذا القرار تطلق جميع النساء و يتم
حجزهن بعيدا عن الرجال لمدة تسعين شهرا ، يتم السماح لهن فيها
بممارسة الجنس مرة واحدة و للمرأة حرية تحديد هذا اليوم ، و لها حق
أكل الرجل الذي يمارس معها إذا رغبت في ذلك و بموجب القرار هذا
أيضا تمنع هؤلاء النساء من ركوب الخيل منعاً قاطعاً إذ لا فرق بين
ركوب الخيل و ممارسة الجنس ، أنهما شئ واحد .

المرأة حين تريد خيانة زوجها أو عشيقها تشتري حصانا تركبه كل يوم ، و حتى الأحصنة في هذا البلاد تدرك أغراض المرأة على ظهرها .
لذا يمشي الحصان بهرولة معينة .

و أمام فضيحة ركوب الحبل لوحظ تشوه عام في مشية الخيول التي فقدت كل أصالتها و بموجب هذا القرار يكلف رئيس البلاد القاضي العام بتشكيل فريق علمي يدرس إمكانية إنقاذ الأحصنة من تشوه المشية و تشوه الصهيل في حناجرها .

إنتهى نطق الحكم الذي روجع لغويا و قانونيا من قبل لجنة الحكم :
ملاحظة :

وضعت نسخة من هذا القرار لدى القاضي العام ، و مثلها لدى حامل الأختام ، مثلها في أرشيف المكتبة الوطنية العظمى ، و مثلها في وزارة الداخلية و مثلها علقت في الساحة العامة .

و كما كان أعضاء المجلس المنور يتلقون خبر الحكم عليهم بالإعدام بالخوف و الإرتعاد ، كان العالم و بذات الإحاسيس يتلقى قرار تعينه قاضيا عاما .

قال القاضي العام :

هذا حكم بالإعدام علي أنا أيضا من قبل النساء و بالفعل هذا الذي كان فقد طلبت أول امرأة عضو في المجلس النسائي المنحل و اللواتي سجن بغاية تبعد عن المدينة بثلاث عشرة كلمتر ، بالمناسبة هذه الغاية مختصة لتربية النحل .

طلبت القاضي لتمارس معه حقها في الجنس ، وبعد الإنتهاء
اجتمعت النساء و فتحن بطنه و أخرجن كيس المنى ثم شربت كل
واحدة منهن قليلا منه ، فحبلن جميعا .

و نزعن عنه عضوه منتعضا و الصقنه في جذع شجرة أدمية ظلت
تعطيه ماء الحياة حتى عادت الحياة للمعضو ، فبدأت النساء في
عبادة هذه الشجرة و نسين الله الذي لا إله إلاه خالق السموات و
الأرض و ما بينهما هو العليم الحكيم الخليم .

قالت النساء اللواتي الفن نشيدا جميلا و خالدا في شجرة الروح هذه ،
و الذي كن يمتشدنه بطقوس يونانية و شعائر إفريقية و صوفية
نفرية .>

أمام الشجرة و كل مساء لقد ساد النظام الجنسي في الغابة فكانت كل
إمرأة تعرف ليلتها التي تهاتها معانقة جذع الشجرة ...
قالت النساء : لم نعرف طوال حياتنا إيمانا كما الإيمان الذي نمارسها الآن
فسبحانك يا رب

قال الهريري الذي بدا عليه التعب من كثرة خلط المشروبات الكحولية
التي قدمها له الإسباني كي يخبره بفعله المنكر ، الذي فعله ، على
كل ، يوم القمامة بحاسب الإسباني على فعلته هذه لأنه غرر به
وأسكره سكرة شهر عادية خطفه من ذراع المرأة التي تشرف على
تسيير البار في الليل .

أنا لست مذنبا الله تبارك و تعالى يعرف ما يموس في الصدور .
أما هذه الأعمال الظاهرية فهي ممارسات جسدية و الجسد للفناء . و
الروح وحدها الباقية في الخلود و للخلود .
قال أنطونيو ليست هناك طائرة هذا اليوم .. الطائرات مملوءة ليس هناك
مكان فارغ .. الإمبريكيون السياح إستعمروا إسبانيا ، الدولار
مخيف .

الواقع أن الأمريكيين و الأمريكيات لا يجهنون الى إسبانيا من أجل
الفلانكو أو مصارعة الثيران إنما من أجلكم أنتم المغاربة أنتم الذين
ترفعون مستوى السباحة في إسبانيا سأقترح على وزارة السباحة و
الثقافة أن تخصص جائزة صيفية تسمى بإسم عربي .
فهمت ما قصد إليه أنطونيو ، لعنت في داخلي روائي مغربيا كتب
مثل هذا الرأي دون أن يصرح به .

أنه يشتغل لصالح المخابرات الإسبانية ، إعتقد أنه < محمد زفزاف >
قراحت روايته التي بعثها الي ، إستطيع أن أعطيكم عنوانه لتصلوا
به كي يبعث لكم بنسخة . إقرأوا أيها الناس العالم مهول .
لا لن أعطيكم عنوانه فهذا سر بيني و بينه ، أنا لا علاقة لي بوزارة
السباحة في بلادي .

لأن الحكومة الجديدة ألغتها نهائيا ، معها الحق .

يمكننا أن نشتغل في هذا الباب مع إسبانيا ، ساستشير صديقي محمد زفزاف .

هو أعلم بهذا الأمر و أنا أقترح على رئيس الحكومة أن يعين هذا الروائي وزيرا متعاوننا للسباحة و تجارة التمور و الخمر و الأجساد .
نحن دولة المتعاونين ، المتعاونون الأجانب هم الذين يسبرون الإقتصاد و التعليم العالي و الصناعة و الدين .
كل شئ يحدده المتعاونون سواء العلاقة ، إنسان / إنسان أو إنسان / اله .

نحن نعرف الله يعين المتعاون .

الدولار يعين المتعاون أيضا . أنا لست متعاوننا مع المخابرات الأجنبية ما أريده هو الخبر لهذه البلاد .

أعرف جيدا أن أنطونيو يكذب و أن هناك سرها من الطائرات المتوجهة الى إسبانيا ، الأمر فيه مؤامرة محوكةا بموافقة زوجته .
إنها مؤامرة ضدي .

أنطونيو يريد قضاء ليلته في فراشي و هو بكلمني الآن أشعر برغبة في مضاجعته ، إعجبتي كنهته الغبية ، أستاذ جامعي برتبة بروفيسور يكذب كي يقضي ليلة مع صعلوك مثلي .

نام أكثر لياليه في زرائب الحيوانات ، هي رغبة جامحة الى سكر .
 حين شعرت بالجوع قلت لأنطونيو ما رأيك في أن نتناول طعاما خفيفا
 إنني أشعر بجوع ذهبي > قلت له هذه العبارة بالفرنسية > .
 بالمناسبة و أمام ضحك شخصية أنطونيو فقد بدت لي اللغة الإسبانية
 سهلة لم يتردد لساني في التعبير عن أية فكرة ، إستجاب الإسباني
 لرغباتي دخلنا المطعم في الطابق السادس ، أكلت كثيرا تركت
 لأنطونيو أن يختار لي من اللحويات و الأجبان و أنواع البيرة .
 كان مندهشا لشهيتي أنا أكل و هو يتبعني بعينين زائغتين .
 أن أعرف نيته ، في المطعم شامت الألمانية التي بردت في حجري حين
 سمعت كلامي عن ذبح الحروف .
 لم تنظر إلي تناولت وجبتها بسرعة ثم خرجت ، كانت وجبة ، اللحظة
 شعرت برغبة الى جسدها ، الذي بدا لي لهيبا ، قلت لصديقي
 الإسباني الذي ، يهدوأمامي كالتلميذ الخائف .
 قلت له : أنظر إنها هي ، تجاهل كلامي بقوله .
 - هل تريد بيرة أخرى .
 قلت في نفسي أريد تلك البيرة ، أقصد تلك المرأة التي أحترقني لا
 شئ إلا لأني أذبح الحروف .

الألمان الكلاب ذبحوا العالم ، شعرت الآن بتعاطف مع دعوة اليهود
المطالبة بتعويضات مبهضة تقدمها ألمانيا لإسرائيل ، كضريبة على
جرائم الألمان ضد اليهود في الحرب العالمية الثانية .
تمنيت أن أذكرها بهذه الحقائق إنها دون شك حفيذة واحدة من الذين
شربوا دم الإنسان .

لا يقنعني كلامها عن «حماية الطبيعة» ، إنها تقول بأنها من حزب
الإيكولوجيين ، حزب الخضراء ، لا تخلطوا هذا اللون في الذاكرة
الإيرانية و الليبية بدلالاته عند دعاة حماية الطبيعة ، فلسفة الألوان
تغيرت .

قلت للإسباني أريد أن أنتقم منها ، من تلك الألمانية التي يزيد طولها
عن المتر و السبعين .

طولي أنا هو متر و ثمانية و سبعون إذن الأمر غير مخجل ، لوني
على الرغم من ظل الشمس عليه إلا أنه إلى البياض أقرب ، أنا لست
عطيل ، كما صورته العنصري شكسبير .

حاول الإسباني أن يبعد عن ذهني مثل هذه الأفكار ، إنه يريد أن
يقدم لي نصيحة بقدر ما يريدني لوحده في هذه الليلة التي تأمر علي
فيها مع زوجته .

أه لو أمسك بزوجه ساجعلها تدخل الإسلام في الليلة الأولى .

جميع الأوربيين الذين دخلوا الإسلام دخلوه حبا في جسد بعض المسلمين الذين يتفجرون منبا .

الإيمان عندهم هو أولا و أخيرا إيمان بالجسد .

الجزيرة العربية بحرارتها أعطت للإسلام صورة معينة و حين أنتقل الى إفريقيا لم يختلف الجو . يستحيل أن يستقر الإسلام في الدول ذات المناخ الصقيعي .

الجيولوجيون و الجيوفيزيائيون يقولون أن الأرض ستصبح صحراء و أن القطب الشمالي و الجنوبي هما في طور الذوبان ستعرف الأرض طوفان نوح .

كان الكاتب الذي صوره في ملحمة قلقامش بعد الطوفان الثاني ذكيا أو نبيا ، الكتب السماوية التي جاءت من بعد هذا التاريخ نقلت عنه ، بعد الطوفان الثاني ستشتعل الأرض حرارة ، و لن يبقى على هذه الأرض سوى المسلمون .

لأن طبيعتهم طبيعة صحراوية ، و أنهم الوحيدون الذين يقبلون بشطف العيش ، الشعوب الأخرى لا يمكنها أن تعيش بدون حضارة ، و حضارة العرب و المسلمين أنهم بإمكانهم العيش في القفار و المجاعة. بعد هذا الطوفان سيعوم الدين الإسلامي على الأرض ، و تكون أنذاك القيامة .

نظرية تستحق النقاش حاولت أن أطرحها أمام هذا الأستاذ الجامعي الحاصل على جائزة من فرانكو لكنني ترددت لا أدري لماذا .

حاول الإسباني أن يبعد عن ذهني الرغبة في جسد الألمانية التي لم أشعر من قبل في أن أنتقم منها .

المشرقة على نهار الأمريكي في الطابق الأخير ، هي التي دلتني على غرفة الألمانية .

لقد دفعت مقابل هذه الخاتمة شيئا من جسدي وفي المرحاض المعطر رائحة مراحيضهم أنعش من روائح عرائسنا .

بالله كم هي سخيفة المقولة : < النظافة من الإيمان > الآن أقول النظافة من الحضارة .

صديقي أنطونيو لم يرد أن يتركني وحيدا ، أنا أعرف لماذا يهتم بي إلى هذه الدرجة ، في الشارع الذي نزلنا إليه اللحظة شعرت برغبة الالتصاق بالإسباني الشارع مخيف كل ما فيه يبدو معاديا للذين مثلي ، حاولت أن أخفي هذا الإحساس عن الإسباني إلا أنني وحين لم أجد ما أقوله إستنجدت بما يبدو في خلدي .

ربما هي نهاية التأثير بالدين المسيحي القائم على فكرة الإعتراف .

- فرانكفورت مدينة مزعجة . أعرف أن أنطونيو ينتهي كلاماتي بكل إهتمام إلا أنه و مثلي يريد أن يخفي إهتمامه بي و بكلامي ، إذا ما أستمر في لعبة إخفاء الأحاسيس فإنه سرعان ذات يوم و سيتحول إلى داعية إعتقد أنه مؤهل لكل هذه المهام .

إذا سمعت يوما بأن أنطونيو أسلم وأنه وضع ماله وحياته في خدمة
الدعوة الإسلامية فإن الأمر لن يكون بالنسبة الي غيرها .
لقد قلت قبل قليل إن أغلب الأوروبيين الذين أساموا هم من المرضى
الجنبيين .

حينما أولي اهتمامي به ، بتجاهلني ، و حين بتجاهلني أولي
إهتمامي به ، و حين أرفع همني عنه يذلني ، و يتمسح بي كالفطة و
حين يتمسح بي كالفطة أجهاله ، إنه يفهمني ، ان به عرق عربي أو
بالأصح بربري ، دون شك فأحد أجداده حفيد لطارق بن زياد .
هنا أنطونيو ليذكرني بسفرنا الى مدريد غدا الساعة العاشرة ليلا ،
كان يتحدث بضمير < نحن > و كأنني صديقه منذ ريع قرن .
لا بأس فليكن ، الشارع في فرانكفورت يتطلب من رجل مثلي أن
يكون الى جنبه رفيق ، أي رفيق و لو كان كلبا .
و مرة أخرى إنطلق في حديث عن زوجته و إبنته و ما يمكنه أن يأخذه
إليها كهدية من ألمانيا ، لم يكن الموضوع بهمني ، في الحقيقة ما
يشغلني الآن هو أن أنتقم هذه الليلة من الألمانية هي السبب في
تورطي في هذه العلاقة مع الإسباني .
سأعطيها الليلة سأشرب من دمها .

النازية إهنت الكلب .

أبوها دون شك هو الذي كان يشرف على الأفران التي إبتلعت مليون ونصف مليون من الأطفال اليهود .

الليلة سأذكرها بتاريخها . على أن أجمع بعض المعطيات من هذا الأستاذ . كي أضعها بحقيقتها في المساء .

سأعنيها سأهرب عنها النعاس .

- الى أين يا أنطونيو ؟

- الى المكتبة .. هي هنا قريبة من ركن الشارع الموازي .

- أنت لا يمكنك أن تسلم لأننا نحن أصحاب ذلك العالم حين نقطع

البحر . أول ما نفكر فيه شراء الأشياء التي تؤكل أو تلبس أو تهرب

للبيع . كنت أريد أن أحدثه عن أولئك الذين يذهبون الى الحج

فيحضرون معهم جريركات من الماء . يقولون إنه ماء زمزم . أنا أشك

في بقاء النبع الذي تفجر عند قدم إسماعيل أو يعقوب .

أنا لا يهمني الصراع الديني بين اليهود والمسلمين والمسيحيين .

اليهود عدائيون لا لشئ إلا لأنهم تشردوا في بقاع الأرض ، عدم

الثقة هي التي حولتهم الى ما هم عليه الآن أنا أعتقد و ربما هذه

الفكرة لا تعجب الكثير . إنه حان الوقت لكي يعيش أهل الديانات

السامية والديانات غير السامية والملحدون بمحبة .

لأن الأرض تشرف على الموت نحن الذين قتلنا أرضنا الزرقاء .
لم أرد أن أدخل الى المكتبة مع أنطونيو ، تركته يتخطى العتبة وحده
شاهدت المكتبي يحببه بحرارة ، يبدو أنهما متعارفان ، حركته حول
نفسه ووراء بهنت أنه يبحث عني ، و هل اني لا أزال أتبعه ، شاهدني
من خلف الزجاج أشرت له بأنني أنتظره هنا و أن لا علاقة لي بالمكتب

كنت اتسلى بالنظر الى لبيترينة أعتقدت في البداية أن < المانكانة >
التي تلق شبه عارية ما هي إلا دمية ، لكنني بدأت أكتشف حركة
جسدها المصقول من لحم حي إن قلبها يرق ، مسحت عيني
< المانكانة > تتحرك قليلا ، إنها أكثر من ذلك تبسم لي ، بالله
أنت القادر على كل شيء .

إن أنطونيو لا يريدني أن أتفرج على مثل هذه المناظر و كأنما كان
يسمع ما بداخلي من ضجيج الأفكار ، ضربني على كتفي و قال لي
الإسلام يمنعك من رؤية ذلك ، أردت أن أبصق في وجهه .
وأشير إلى أول سائق طاكسي ، في اتجاه المطار لكنني تغاذلت .
و بالمقابل أمنت أن أنطونيو يمكنه أن يكون مسلما إن نفاقه و خبثه
هما الإستعمله اللاتني للدخول في أي وقت الى هذا الدين .
سرت معه ، ملط عليه رجل في الشارع ، إنهم يعرفونه حتى هاهنا

قال لي :

- لقد حاضرت مدة سنتين في جامعة فرانكفورت ، قسم تاريخ الحضارات .

لي طلبة كثير في هذه المدينة ، خاصة في هذا الحي . المكتبي الذي كنت أتحدث معه أشرفت على أطروحته التي خصصها للطوفان في ملحمة قلقامش .

حين كان يدرس أطروحته طلبت منه أن يسافر الى العراق ، وبالفعل ذهب الى هناك ، حيث قضى سنة كاملة ، في العراق .

أحب رجلاً سورياً ، عاش معه تلك المدة كلها ، لكنها الحرب التي أفقدت حياة حياته مع صديقه و عشيقه .

كنت في نفسي ألم يفكر في أن يسلم ، أردت أن أخفي السؤال لكي طرحته .

قال لي أنطونيو بنوع من الإستغراب ، كيف عرفت ذلك ، أضاف بل إنه ألماني مسلم .

وبقرأ القرآن و الشعر الجاهلي ، هو يفكر الآن في تحضير رسالة حول الفلمانيات في الفلسفة الجمالية الإسلامية .

سكت .

المانكانة تخرج من الفترنة ، تعوضها أخرى أكثر عربا من الأولى و أطول منها قليلا .

قنيت أن أتفرج عليها ، إن مشهدا. مثل هذا لا يختلف عن مشهد في
رقصة لنجوى فؤاد و سامية جمال .

زمارة الشكنة تعلن منتصف النهار ، دون شك ستجيء زوجتي و
أولادي لزيارتي نظرت من النافذة الجو مغبر ، ريع و غبار و حرارة
قاتلة .

لا أجمل من شراب البيرة و السماع الى الأغاني العاطفية ، شرب
البيرة لا يكون إلا مع أغاني عبد الحليم حافظ أو بعض أغاني أم
كلثوم و صحن من الكاوكاو والملح .

بي مس رومانسي حتى و أنا في هذه الشكنة الموجودة على هذه التلة،
للفرنسيين حكمة حين بنوها في هذا المكان ، نحن تاهعون ، نحن
أضعف خلق الله في قراءة المكان ، الطبيعة الرعوية العربية ، لم
تترك لنا فرصة بناء علاقة حضارية مع المكان ، نحن شعب هلا مكان ،
الذي لا مكان له لا سما له .

لقد نسينا الله و نسيانه .

طلبت من الجندي الذي يحاذيني أن يعطيني < جاركانة > الماء المغلفة
بخرقة من كيس الخش .

هذا الماء باردا لم يكن باردا هكنا توهمته .

مسحت فم الجركانة الهلاستيكية بظاهر يدي ثم أرجعتها الى الجندي .

في فرنكفورت يسقط الليل بسرعة ، يسقط معه حزن أصفر اللون .
هذه الحالة تشبه ما يحدث في وهران كل مساء ، قال لي الإسباني هيا
نرجع الى الفندق ، لم يكن لي أي جواب .

لم أرد بكلمة ، مطر بدأ يسقط يا الله كم هي جميلة مدنهم بامطارها و
من تحتها نساؤهم وأضواء فتريناتهم ، وشيئ ما يمشي في الهواء لا
أستطيع أن أسبه .

المطر يسقط ، في لحظة واحدة فتح الجميع مظلاتهم وضعوها فوق
رؤوسهم ثم واصلوا السير دون أن يبشر فيهم سقوط المطر أي تساؤل ،
دون أن يكلفوا أنفسهم حتى عناء شكر الله الذي أنزلها من السماء .
في بلادنا قبل أن تتغيم السماء يبدأ الناس في شكر الله وتعظيمه .
حتى و كأنما الله يدرك نفاقهم فيبطل كل شيء .

هنا الناس لا تذكر الله في المصلحة ، وإن إلهم موجود كالخطاطيف
في الكنائس وفي إعلانات الهمزة وفي أغاني الأطفال .

وحدي في كل هذا الشارع ، غيرت إيقاع مشيتي بعد أن بدأ المطر
يسقط و صديقي الإسباني لم يغير مشيته ، مثلهم أحتفظ بخطوة
كما كان ، إبن الكلب يستطيع أن يلعب كل الألعاب .

لست أدري من أين جاني هذا التناقض ، فأنا أريد أنتمتع بمنظر المطر
من جهة و من جهة أخرى أسابق المطر كي أدخل الفندق .

أشعر أن الإسباني فرح لأنني أسبقه ، ولأنني مصر على الدخول الى
الغرفة .

إنه حقيق أنني رهينته لا بأس الدنيا أشواط بعضها لك و بعضها
ليس لك .

أفكر الآن في الألمانية التي بردت في حجري ، كيف يكون الإنتقام و
المطر يسقط بجتاحني شعور فلاحى ، يخرج الآن من أعماقي يزهر
بشراسة .

الناس في بلادي ، مجرد أن تسقط أمطار أكتوبر الأولى يتنازلون عن
أحقادهم يتسامحون و يشربون القهوة و الشاي معا و لا يعودون الى
الحديث عن الماضي إنهم يعتقدون لوأنهم ، ظلوا بأحقادهم أوقف الله
المطر .

و لأنهم لا يقتلون ضفائنتهم فالله يوقف المطر بعد الزخات الأولى ،
هأنذا أتنازل عن حقدي تجاه الألمانية لن أزعجها حتى لو أنها جاءت
الى غرفتي و طلبت مني أن أسامحها على تصرفاتها الباردة ،
سأسكت سأبكي لأنني لست القاتل .

كلامي عن ذبح الحروف جراحة في غير محلها ، فانا لا أستطيع أن
أذبح و حاجة .

سأقول لها لقد أحسن أجدادها التصرف تجاه اليهود .

وسأبين لها أن العقل الألماني هو أكبر عقل عرفه الإنسان ، ألمانيا هي
لم الحروب و أم الفلسفة أيضا .

سيفهمني الإسباني إذا تدخل في هذا الحديث ، أعرف أنه سيتكلم عن أسماء لا أحفظها و سيصل الى أين رشد و يكشف العلاقة ما بينه و بين هبغل .

إذا ما أردت أن أسامح الألمانية فعلي أن أتخلص من أنطونيرو الذي ليس من السهل التخلص منه ، و لكن سأحاول .

حين قال لي أعني الإسباني : تفضل : خفت ، أحسست بشيء ما ، المطر هو الذي غبر موقفي ، يجب أن أتخلص من مشاعري الفلاجية . لمحت الألمانية بطولها و اعتدادهما بنفسها تدخل المقهى الذي يفتح الرؤية على الشارع ، عاودتني رغبة الإنتقام ، أستبقيت في حب اليهود ، فشعرت تجاههم بقراءة أبناء العمومة ، لأول مرة يشعرنا الألمان أن اليهود و المسلمين عليهم أن يعاملوا على قدم المساواة . أننا منهوذين مثلهم تماما ، حالنا ليس أحسن من حالهم .

لا أريد أن أتحديث الليلة في السياسة أريد أن أشرب من الخمر و أنواع البيرة و أسكر ثم ليفعل بي الإسباني أو الألمانية ما يريدان . لأترك ذلك لوقتته .

دخلت غرفتي ، مسحت شعري الذي تهلل قليلا ، كنت أدرك أن الإسباني سيقبض باب غرفتي بعد لحظة ، إنني أسمع أنفاسه وراء الباب أو على أقل تقدير فهو يراقب الألمانية في المقهى بعد جرعاتها . الإحساس الذي أستوى علي الآن غريب من نوعه .

إبراهيمت على السرير بعد أن نزعته عني سرالي ، قبضني برقطة العنق
التي إشتريتها من دمشق من شارع الصالحية أو من شارع جمال عهد
الناصر كما يسمى رسميا لا تزال تحت ياقة التمهيص القطني شعرت
براحة ما .

- دق على الباب .

- هذا هو الإسباني ، قد لحق بي .

الألمانية تكلم الـهسيونوست عن رقم غرفتي ، إنها تريد أن تهرب
مني أو تريد أن تجهشني .

دق على الباب .

قلت ، شكلي مضحك ، فتحت الباب ضحكت في وجهي امرأة
إفريقية إعتقدت قبل أن تقول أي كلمة ، إبتسمت ثم قالت :
- سبدي نسبت المفتاح في عين القفل .

قلت لها بإرتباك ، بالفرنسية :

-مرسي ماداموزال Merci Mademoiselle

ودت بفرنسية بجملة : دون مان ممبور De rien Monsieur

في الجزائر نكوه الفرنسية ، على الرغم من أننا نستعملها أكثر من أية
لغة أخرى سواء داخل البلاد أو خارجها ، هنا في ألمانيا البعض لا يزال
يعتقد أننا جزء من فرنسا .

وبما معهم حق ، اعتقد الآن وانا احدث هذه اليهودية ذات الأصل
المغربي أن شعبنا ما شعبنا ناقص .

لا زلت أنتظر الإسباني أو الألمانية ، على الرغم من أن اليهودية هي
التي دقت الباب إلا أن الآخرين ، أعني الألمانية و الإسباني سيدقان
بعد اللحظة ، اليهودية وجدت المفتاح لفرصة كي تقتحم غرفتي
بطريقة شرعية .

هناها ثقلان الكثير ، باب المصعد يفتح ، أسمعها لأن غرفتي
تقابلها مباشرة ، إنهما صديقاها دون شك .

بالنسبة لليهودية كانت أنيقة ومحترمة ، كان كلامها موزونا ، أنا
الذي أعوم في نية كدرة .

كان عليها أن تبسم و أن تهتأي بالعبد الوطني لهلاكي أو بعيد
الميلاد إن ذلك من أصول علم الفندق .

نيتنا ناقصة ، فجعلنا نختصر تصرفات عباد الله في الإجماء السالب
دائما .

الإسباني هو الذي أفقدني الثقة في الأجانب ، إنه ليس وحده .

في الحقيقة لم يقم الإسباني سوى بتأكيد قراء اتنا عن الغرب تلك
الكتب التي تصورهم متاعا للمتعة ، فالمرأة الأوروبية تعرض نفسها
بأهين الأثمان للرجل الإفريقي .

طرز في كتابات مالك حداد و طه حسين و يوسف ادريس .

نحن شعب لحمي ، ناكل اللحم كثيرا ، و حين تتوفر الإمكانيات و نتزوج ، نتزوج نساء كثيرات . حكى لي أحد الأصدقاء أنه قرأ في كتاب ذي طابع ديني أن أحد الخلفاء قضى خمس سنوات من خلافته بين فخذ النساء ، وأنه لم يمت أكثر من ليلة بين فخذين ، حتى لا يرجع له الفخذ نفسه كان يكتب عليه بموساة حادة بيتا شعريا فاحشا ثم يطلبه بالرماد ، كي يصبح وشما ، أنا لم أقرأ ذلك و اتخبر على ذمة الصديق ، قال لي الله يذكره بخير ، إن هذا الخليفة قاد حروبا و هو بين أفخاذ النساء و أنتصر فيها نصرا عظيما ، صديقي هذا أصبح قائد حزب ديني يحلم بالسلطة و يقول لمناصريه أنه لم يبق بينه و بين عتبة قصر الحكومة سوى بعض خطوات .

لماذا لم يلق الإسباني و لا الألمانية باب غرفتي ، ربما إنهما أتفقا ، لقد كونا حلفا أوروبا ضدي ، هذا ليس مستبعدا فالإسباني هذا يستشغل وجودي و الألمانية على إستعداد كي تدفعه الى إتخاذ مواقف أكثر جنونية لا يهمني الأمر ، على العكس من ذلك فهذا يريحني ..
لأنني رضعت النفاق في حليب الأم ، و لأنها رضعته بدورها في حليب رضاعتها ، سلسلة طويلة فأنا الآن أخني أحاسيسي الحقيقية ، فأنا في الواقع أنتظرهما لا لأنني أريد أن أتخلص منهما ،

أو لأنهما يشغلان علي و لكنني أنتظرهما لأني أريد أن أشعر بأنني
أملكهما .

إذن مادام لم يدقا باب الغرفة فعلي أن أنزل لأبحث عنها ، سأنتعل
الجوارب أو أي امر آخر أفكر فيه بعد حين ، أفكار المراهقة و النفاق
تجهم دون غناء في المصعد تنزل عليك أسراها أسراها .

أشعر بحاجة إلى الاسهاني ، لا تعرف قيمة الشيء حتى تفقده بذلك
انظروا لغيرنا دائما حارا و حاضرا .

سأنزل لأبحث عنه سأأنه لأنني انتظرت فلم يلحق بي و سأقول له
بلهجة المتذمر كيف أنني انتظرت و أنه و عدني بأنه سيلحق بي .
ارتديت مرزالي ، الآن فقط مهزت لون السروال ، زرقته مائلة إلى
السواد ، الخطف الذي يبدو أكبر من جسدي قليلا أشعر فيه براحة
حين دفعتني في « الهوتبون » دق جرس التلفزيون ، تأخرت
قليلا على « السماعة » حين رفعتها كان الصوت في الجهة الأخرى
من الخط . انقطع هذا لن يكون إلا انطونيو ، لا يمكنه ان يتخلى
عني كل الوقت ، وقد كنت السبب في تأجيل سفره .
ترددت أن أنزل أم أعود فأخضع ملاسني و أدخل تحت الشراشف
الوردية التي ظهر لي الآن لونها زاهيا و مفرها .

خلعت ملاهسي ، رميتها فوق الكرسي بفوضى نزعته عني كل قطعة
لست ادري لماذا ، دون شك انا افكر في الالمانية اكثر مما افكر
في الإسباني .

مرة أخرى ها أنذا أنتظر الدق على الباب أودنين جرس التلفون .
أحسست بجسدي العاري يتململ ، تشامت .
هل هذا وقت النوم ، لا يجب أن افكر في النوم .
لماذا لا اقوم فألبس ثيابي و أنزل على ليل فرا نكفورت على الاقل هذا
هو الوقت المناسب كي اكتب بعض بطاقات بريدية لبعض الأصدقاء .
إذا لم أكتبها الآن فلن أكتب حرفا واحدا . كم هي ثقيلة مهمة كتابة
الرسائل للأصدقاء .

مرة كتبت بطاقة معايدة لأحد الأصدقاء . و ظلت معي في درج
المكتب فلم أبعثها إلا في أعياد رأس السنة الموالية ، ضحك صديقي
كثيرا ورد علي برسالة جميلة و مضحكة ، أنا هكذا أحب أن أقرأ
رسائل الأصدقاء . و لكنني أتكاسل في الإجابة .
ماذا سأقول لأصدقائي في بطاقاتهم ؟ سأكذب لا شيء أجمل من
الكذب

مثلا سأقول :

> إذا أردت أن تعرف باب الجنة فعليك أن تتعلم الألمانية وإذا أردت
أن تعرف الجنة عليك أن تزور فرانكفورت <

سأكتب لذلك الماركسي الذي جعلني أقضي ثلاثة أسابيع في التطوع لصالح الثورة الزراعية التي كان يدعمها حزبه الشيوعي .
أنا لم أكن أمشي لوجه الفلاحين ، فإذا كان الأمر بكل هذا الحرص و المساعدة فأجدر بي أن أذهب لمساعدة الذي ، الطالبة ذات الصوت الجميل هي التي كانت تجرني خلفها بالرصن ، أنا الآن أسب صديقي لكنني أقصد تلك الطالبة التي أصبحت أما وادت العمرة و ألجبت خمسة بطون .

و هي تصلي ركعتين كل يوم للغفران أنا أعرفها إنها تقرر بذلك ظاهريا أما أعماقها فهي لا تزال تكن لي شعورا خاصا ، مرة نشرت نصا أدبيا عن حصار بيروت ، فوصلتني رسالة دون توقيع و لا إسم و من حروفها الأولية عرفت أن الرسالة هي رسالتها .
تلك الليلة بكبت ، لا لشيئ إلا لأنني لم أحطم عذريتها في تلك الليلة بعد أن أصرت ، كانت محاصرني برغبتها و كنت بالمقابل أهرب .
مؤكد أنها في الصباح قمت لو أنها صنعت من جسدي < كفتة > .
معك حق أيتها العزيزة لم يعلمها أبائنا الفلاحون سوى الخوف و مناهضة المشاعر ، أعترف الآن أنك كنت جريئة و أنك كنت فنانة .
سأقول لذلك الشيوعي :

> أنفض عنك الأفكار الستالينية وخلق في الذي يجري .. العالم يارفيقي غير ما ترى إن الذي أمامك و هم كل الوهم ...
كتابة الرسائل للشيوعيين ثقيلة لأنها تخلو من المزاح و التنكيت .

فأنت محاسب عن كل كلمة تقولها . نحن نكتب الرسائل كي نفضي بما
في القلوب . لكي نفتح أوداما أخرى . الرسائل الى الشيوعيين تشبه
فصول الأطروحات الأكاديمية . صديق . رفيق كان يكاتبني بمش
رسائله بمراجع و أرقام الصفحات عنا واحد من الذين جعلوني أكثر و
أتقاس على كتابة الرسائل .

لماذا لا أكتب لأبي رسالة أقول له فيها . أن الحياة جميلة في بلاد
الألمان الذين أنت معجب بهم . و الذين كنت تقول عنهم دائما أنهم لو
انتصروا في الحرب العالمية الثانية لانتهد القضية الفلسطينية . و لما
كان هناك تشرد للشعب الفلسطيني . أبي يحب السياسة كثيرا و هو
ليس متعاطفا مع العرب و لا المسلمين . لأني أشعر أن تأكيده على
الحضارة أكثر من تأكيده على أي عامل آخر .

الإسباني لم يجرى و مثله الألمانية و التلفون لم يدق ثانية و حتى باب
المصعد لم يفتح .

أو لربما لم أسمع . أنا متيقن أنا الحس الحضاري عند كبلهما هو الذي
لم يتركهما يدقان باب الغرفة .

ربما نسيت فرضعت تلك الورقة التي توضع في مقبض الباب من
الخارج و المكتوب عليها < دون إزعاج > أنا لم أعلق شيئا من هذا
القبيل . المغربية اليهودية يمكنها أن تفعل ذلك . يجب أن أتفقد باهي
فتحت الباب في الكولوار رائحة زكية و دفن لا يذكرني سوى
بالجلسات أمام المدفأة المازوتية في دمشق و شرب العرق . بالله لكم

هي جميلة بعض الأشياء التي نسحبها خلفنا ، و لكننا ننساها في
زحمة الأشياء القبيحة المؤلمة .

كان علي أن أملاً المصورة و أن أخذ صوراً مع الأصدقاء الألمان في
ليلة البارحة ، أنا أكره أن أتصور إلى جانب الآثار العمرانية كنت أحب
عبد الحليم حافظ و لكنني حين شاهدت صورته الى جانب برج < إيفل >
نفرت منه و من أغانيه ، حتى حدثني صديق عن الموتاج في الصور
... أوف هذا الكلام زائد .

سأطلب من الإسباني أن يأخذ لي صورة عارية مع الألمانية .
إبن الكلب سيطلب هو الآخر بدوره من الألمانية أن تلتقط له صورة
معي و في الوضعيات ذاتها .

على كل سأحفظ الفيلم لنا و سأحرق كل الصور التي قد تبقى وصمة
ضدي ، الجزائريون لسانهم طويل .

يتشممون الأخطاء بحاسة شم قوية ورثوها من الكلاب . ربما هذه
واحدة من العناصر التي نسيها داروين للتدليل على صحة نظريته
الارتقاء .

يبدو لي أننا من أصل الكلاب لا القرد ، على كل هذه أطروحة يمكن
البحث فيها من قبل الباحثين الشباب ، يمكنهم أن يقدموا نتائج
إيجابية إذا ما تخلصوا من الحس السياسي والعنصري والديني .
اليهودية ذات الأصل المغربي لم تعلق شيئاً على مقبض الباب .

إذن هناك مؤامرة ضدي ، مؤكد أن الإسباني أو الألمانية قد وجدا إفريقيا غيري ، و أنهما يطلبان له البيرة و أنواع الريسكي ، أنه يشرب و يوعدهما أن باستطاعته أن ينام معهما في فراش واحد و أن الأمر بالنسبة إليه عادي جدا و أنه فعل هذا ذات مرة مع نزلاء فندق كامل ففندق مثل هذا بخمس نجوم .

هذا الغريب سأجده يحتضن الألمانية و يغمر شواربه في كأس البيرة الذي يشبه القلة .

إنه يشرب مثل الحمار ، يأتي على كأس في نفس واحد ضاعت فرصتي تحطم حلم الذهاب إلى إسبانيا و الإنتقام من غريمي الذي سرق مني مراسلتي و تزوجها و جعلت منه رجلا يخوض الانتخابات و يدافع عن آراء و أفكار حزب معين ، و هو الجاهل الذي لم يقرأ مقالا سياسيا في حياته ، مرات أقول في داخلي أن هؤلاء الأوروبيين أغبياء ، ربما يبدو لي أن الدين هو السبب الرئيسي في سذاجة تربيتهم و من مصلحة المسلمين أن يظل الأوروبيون هكذا أما إذا ما أخذوا منا شيئا ، كمية قليلة من أخلاقياتنا فإن الأمر سيكون على غير ما هو عليه .

مرة أخرى ها أنذا ارتدي ملاحسي ، ليست تلك التي كنت ارتديها من قبل ، لكنني نزعته مرة ثانية ، لأغيرها ، أريد أن ألبس أخرى ترينيني أكثر .

اللباس لا أهمية له هنا ، في بلادي كل شيء مبني على ذلك المنظر و ما أدراك ما المنظر .

كنت أن لا أخرج لولا أن شجعني باب المصعد الذي إنفتح ، عجوز في
السهمين يوصلها المصعد في وجهي .

أنسل بسرعة الى قلب المصعد لأصعد أولا الى الهار الأمريكي في
الطابق الأخير ، لأبحث عنهما هناك درت بين الطاولات ، الزياتن قلة ،
شاب يمارس العملية بعينها مع صديقته لا أحد ينتبه له ، كل واحد
يشتغل شغله .

خجلت من الطاولات بعيني ثم خرجت بسرعة .
لأنزل الى الشارع الأرضي ، يمكنهما أن يكونا هناك بشرمان البراندي
و يراقبان الناس .

ضاح من باب المصعد ، دخلت التواليت ، خفت أن يكون المخصص
للرجال ، لأنه ليس هناك مراحيض للرجال . و أخرى للنساء .
اختلاط في كل شيء ، هللت بعد أن كنت قد فعلت ذلك قبل أقل من
خمس دقائق في غرفتي .

في مطار قسنطينة أخطأت مرة لدخلت إلى مراحيض النساء ، حين
خرجت إجتمع حولي عمال و موظفو المطار و كذا رجال الأمن و الرجال
القامضون ، طلب مني الأول بطاقة التعريف ، إندهشت لكل هذا الجمع
الفقير ، أنا لم ارتكب ذنبا فلماذا يتجمعون ، العميون تنظر
إلى باستغراب خفت أن أكون قد فقدت سلطة عقلي لم أسأل أحدا منهم ،
لم يكن أحد منهم مستعدا للإجابة عن سؤالي .

قرأ الغامض بطاقة الترفيه ، علق بصوت نصف مسموع ، أنتم
الوهرانيون أولاد < الراي > لا تفرقون بين مراحيض للنساء و أخرى
للرجال آنذاك عرفت خطني و استرجعت منظر المراحيض المملوءة
بالضخادات و الحفاطات المصهوغة بدم العادة الشهرية .

خجلت من نفسي ، كل الذين بالمطار يتهمونني ، ورجل الشرطة
يسوقني كالغنمة لا أجد الكلام في فمي كي أقول شيئا لقد جف
الكلام ، صار لساني في فمي كقطعة علك كبيرة .

أجسنتني الشرطة على كرسي بلاستيكي ، واجهني الناس في الخارج
فجمعوا بشيرون الي بأصابعهم من خلف الزجاج ، هذا هو الذي خرب
البلاد لولاه لما وصلت الجزائر الى كل هذا الترددي سبب الأزمة

الاقتصادية و الثقافية ، إقتحام مراحيض النساء من قبل الرجال ، هذه
مشكلة كبيرة ، إن البلاد في منعطف خطير ، و يجب وضع حد لمثل
هذه التصرفات التي تهدد الشخصية الوطنية .

إمراة قالت الله يسامحها - حاول أن يعتدي علي بالمراحيض ، أخرى
قالت أجبرني على أن أرفع ملابسي حتى في جسدي و لكن و الشهادة
لله لم يفعل شيئا ، لمس أشيائي و لكنه لم يخرج أشياء ، إنه رجل
متخلق ، و يعرف حدود الشرع .

فأثثة قالت :

ليست هذه هي المرة الأولى التي أراه يدخل عليها المراحيض الخاص
بالنساء .

و أعتقد أن هناك حزبا إجتماعيا يتأسس على قاعدة دعوة الإختلاط في المراحيض و الحمامات .

أقسم لك يا أختي أن بعض الحمامات في بعض مدننا مختلطة ، الرجال مع النساء في قاعة ساخنة واحدة ، المرأة تحك للرجل ظهرا ثم تدبر ظهرها له و يحك ظهرها دون أي خطر ، أخاف أن يعم نظام الحمامات المختلطة ، فيطير الرجال من بين أيدينا ، يقال أن هذا الحزب نشط بوهران ، إنها مدينة الجراءة ، لا توجد مدينة تقدر على فعل ذلك .

- إنه متوجه الى وهران .

- يتصرف مثل هذا ، لن يتوجه سوى إلى وهران .

الناس لا يزالون في الخارج ينظرون الي من خلف الزجاج ، يريدون أن يأكلوا لحمي حيا ، بالله كم هي مخيفة عيونهم ، أنا متيقن أن الكثيرين منهم لا يتجرؤون على مثل ذلك و لكنهم يريدون فعل ما هو أكثر فضيحة .

كنت أهرب من العيون أدخل في جسدي أغرس عيني في الأرض الضابط لا يعرف من أين يبدأ أسئلته ، الآن فقط إنتهت إلى هيئته، إنه شاب في الثلاثين ، وجهه وسيم ، لا أدري هل هو نفسه الذي سألني الى هذه الحفارة ، حياؤه ملمع و لون لباسه متناسق

رمى الملك ذات الرائحة النعناعية من فمه ثم قال لي بصوت حضاري
- يا أخي ماذا أصابك .

سخطاً .

- بإستطاعتك أن ترتكب الخيانة الوطنية العظمى ، و لن تجدد عيوننا
بهذا العدد تنبهك .

و أشار الى الناس الذين لمحهمروا أكثر و الشر في عيونهم .

- الى هذا الحد ؟

- لو أختطف طائرة و نزلت بها في إسرائيل ، لن يقول الناس عنك
شيئا الذين سيتكلمون هم الصحفيون ، لا يفسرون العملية سوى
على أنها مفامرة بوليسية مشوقة .

- أشعنا أخلاقي إلى هذه الدرجة .

- إنهم ليسوا أخلاقيين ، و لكنهم يطالبون أن يقوموا جميعا بمثل
الذي فعلت به .

- و الله لم يكن الدخول الى المرحاض سوى من باب الخطاء و باليتنى
لم أدخل لأن منظر الحفاطات المدماة مقرف ، على الأكل مراحيض
الرجال فيها قليل من النظافة .

- عليك أن تبقى هنا تحت تصرفنا حتى إنطلاق الطائرة ، لأنني متيقن
لو أنني أخلي سبيلك سيأكلون لحمك .

غيرنا الحديث بدأ الظابط يتكلم عن الشعر إنه يحب من الشعراء
الفلستينيين عز الدين المناصرة ، و يسمع أغاني خالد الهبر و فرقة
< الطريق > و يحب الرميثي و الشعر الجزائري لا يقنعه ، قراء لمحمد
زيتلي و عبد الله بوخالفة ، و هو يحدثني بوجه مهتم .

هل رايتم وجها مبتسما في ثكنة عسكرية ، مصطفى الذي هذاء الصلح يأكل رأسه ، ما إن وصل < الشاليه > متأخرا بعشرة أيام عن تاريخ وصول دفعته حتى أستطاع أن يشكل وزنا كبيرا ، كان الجنود يخدمونه بقلوبهم يتسلقون السور المشوك الذي يحيط الثكنة ليشتروا له < الشمة > إنه يدخل القلب بسرعة ، يكسر كل الحواجز .

دار مصطفى الدنيا ، حتى دار عقله ، يفتخر كونه شرب أزيد من أربعمائة نوع من الخمور النبذية و مثلها من البيرة .

يستعبد معك أنواع هذه المشروبات ببلدانها وأسعارها والفصول التي تشرب فيها والمأكولات التي يجب أن تؤكل معها .

يقول مصطفى إذا لم تنم مع نساء البلد الذي تنزل ضيفا عليها و لم تصكر بخموره و لم تته في شوارع مدنه ، فأعلم أنك لم تزره .

المدن و البلدان بنسائها و خمرها ، التاريخ و الآثار وزيارة الساحات الكبرى و أخذ الصور الى جانب البنايات المعروفة كل ذلك كذبة السواح الذين يجيئون إلى بلداننا نساء و رجالا ، ليمارسوا رغباتهم الجسدية،

إننا في عيونهم لسنا أكثر من أعضاء جنسية و حكاية عن حكايات
ألف ليلة و ليلة .

جاء كلية الآداب قسم اللغة العربية تاركاً خلفه قريته الجميلة التي
أسسها المستعمرون بين أحضان حقول البرتقال و الليمون و سموها
< بيرقور > .

و حين إستقلت الهلاد و بهست حقول البرتقال ذات الأحد عشر نوعاً
من أجود أنواع البرتقال ، و الذي ظل لفترة ينافس برتقال حيفا و
الضفة الغربية في فلسطين التي أصبحت دولة و لم تستقل بعد .
حين إستقلت الهلاد و بهس شجر البرتقال كما بهست أشجار العنب ،
سمى الأهل القرية بالمحمدية تبنيها بالرسول العربي عليه الصلوات .
يقول مصطفى ، حين يكون الحب يمر العمر بسرعة مذهشة .

في الكلية تعرفت على بنات النواحي ، أجرؤهن طالبات مدينة سيدي
بلعباس ، جراتهن غريبة وصلت بهن الى حد إستقلال بجناح خاص في
المدينة الجامعية .

لأول مرة أعرف أن المرأة تدخن و تشرب < الشراب > الذي يسكر .
من إختلط بالناس عرف الدنيا و من إختلط بالنساء عرف الدنيا
الأخرة .

على الرغم من أنني لم أكن أهتم كثيراً بدروسي و لا بالمحاضرات التي
يلقيها الأساتذة المصريون .

إلا أنني لم أرسب في أي مقياس .
 أستاذ النحو الذي طردته السلطة في البلاد لأنه بدأ يلم حوله عناصر
 من الطلبة و من غير الطلبة لتشكيل حزب ديني ، هذا الأستاذ حين
 هددني بالرسوب أطلقت عليه فتيحة العباسية ، قالت لي :
 - كم تريد أن تكون نقطتك ؟
 - ضحكتم كان يجب أن أضحك لأنني كنت أعتقد أن هذا الأزهرى لا
 يتحك قلبه إلا لصوت عهد الباسط عبد الصمد ، فإذا هو يصبح
 مراققا يدخل الصالونات التي كثر بهذه المدينة .
 و أغرب ما سمعته من الأزهرى مناقشة لظاهرة أغنية الراي و دفاعه
 عنها .. آه يا فتيحة أنت قادرة على أكل الرمانة دون أن تفتحها .
 أقسم لكم بحليب الأمومة الصافي أنني حصلت على العلامة التي
 أردت و أنني لم أقرأ حرفا في دروس النحو ، و أن اللبلة التي سبقت
 الإمتحان بت في غرفة فتيحة شربنا و دخنا كثيرا و غنا قليلا .
 عدوى السجائر جاءني من هذه العباسية .
 الله يذكرها بخير تكون قد تزوجت و ربما تحجبت ، و أكثر من ذلك
 فقد أعطت صروتها الإنتخابي لقائمة الجبهة الإسلامية للإنتقاد .
 و ربما أصبحت داعية ، فتيحة موهوبة تستطيع أن تشتغل هذه المهمة
 بسهولة لا شئ ينف في وجهها .

كانت العباسية تقول دائما : المرأة في بلادنا تنقصها الجرأة قبل الثقافة والتعليم والزواج والإنجاب والتدين والإلهاد .

الجرأة هي رأسمال المرأة دونها تظل دجاجة .

حين كانت تشعر بأنني أريد أن أتخلص منها ، خوفا من أن أرتكب معها فعلا كبيرا فأجد نفسي مضطرا للزواج بها ، كانت تقول لي و هي تقبضني من أذني كالطفل الصغير .

- لا تخف إنني أريدك خارج الزواج .. أنت تنتظرك دون شك واحدة في قريتك للزواج .. ستكون معها سعيدا .

تقبلي و تسحب من على كتفي < البالطو > و تردف قائلة بعد أن تشعل سيجارتها و تسحب منها نفسا عميقا ، دون أن تفقد إبتسامتها الرومانسية التي تلائم هذا الليل الشتوي البارد ، حيث الغرفة دافئة لنتم مرتاحا .

فلم يعد هناك إحتياط من النہيذ .

تخرج مصطفى من كلية الآداب ، أربع سنوات مرت كرمشة عين ، قلت لكم الأيام الجميلة المليئة بالنساء والشراب والحكايات قمر بسرعة .

لأننا لا نعرف هل نكون فيها فمثل أم نسمع اخكاية أو نعيش وقائما .
حل الأصدقاء ورحلت العباسيات و حول الجناح الذي كان خاصا بهم لى معهد العلوم الإجتماعية .

نرر مصطفى أن يحمل أدهاشه و يرحل ، الأرض كروية و بلاد الله واسعة .

يجب أن أسافر إلى أي مكان فيه مكان خارج وهران .
كنت على يقين أنني سألتقي بالعباسية في أول فندق أنزل به ، أجدها
تنام في الغرفة المجاورة لغرفتي ، إنه الإحساس الذي قلكني بقوة مما
جعلني و في أول ليلة أقضيها بفندق < الملكة > بروما و أنا في
طريقي إلى بغداد أن أدق باب الغرفة التي بجانب غرفتي و فتحت لي
إمرأة في الأربعين يبدو أنها هي الأخرى قادمة من بلد من بلدان الدنيا
التي لا تحصى و إن إيطاليا ما هي إلا < ترانزيت > يبدو أنها متعبة
، و لكن مواجهتها لي و أسئلتها التي بدأت تسقط و إبلا على رأسي
الذي لا تزال به دوخة بيرة الطائرة ، التي كانت تقدمها لنا مضيقة
متحجبة كشفت لي عن فضولية هذه المرأة .
إعتذرت لها بعد أن قدمت لي < البريكا > قاتلة بفرنسية مفككة
يمكنك الاحتفاظ بها .

صحبته بالخبر فتمت لها ليلة سعيدة ، ثم سحبت الباب و سحبت الباب
، سمعتها بعد دقائق تسحب < طرادة الماء > La chasse d'eau
إستبقظت في رغبة دق باب غرفتها مرة أخرى و التحجج بألم في
البطن و طلب مسكن ، و لكنني تراجع ، ربما لأنني فقدت وصايا
العباسية ، التي لم أجنحها هنا في هذه الغرفة التي كان يجب أن تكون
فيها ، لا أدري كيف جاني النوم ، إستبقظت على حوار عاملات
التنظيف في الرواق ، وجدتني بسرعة أنتبه إلى الساعة .

استرق السمع علي أسمع حركة في الغرفة المجاورة .
حين تهفت أن المرأة صاحبة الأربعين أو الخمسة والأربعين عاما غير
موجودة أسرع أن قفزت الى الحمام فككت أزرار البهجة بسرعة ،
سأل رشاش الماء باردا ثم ساخنا صرنت جسدي الذي بدا لي نحيفا ،
قنيت أن تدخل اللحظة فتبحة العباسية لتصون لي ظهري إنها هي
التي تدق ، سمعت حجاب الحمام البلاستيكي قلبا ليسترنني و قلت :
أدخل .

إنه صوت امرأة ، كانت عاملة التنظيف تسألني إذا كنت سأبقى لفترة
أطول .

لم تتخرج للمنظر ، أنا الذي شعرت بالحنجف فهمت من إبطائها ،
أنها غاضبة علي لأن ماء المرشاش وصل رواق الغرفة وغمر أطراف
المركبت و بلل وسطه .

كانت المرأة التي لم أميز شكلها وقامتها ، وتحدثت عاملة أخرى و
هي تسب العرب والمسلمين .

إنسحبت من تحت الماء أردت أن ألحق بها وأسبها أسب جدها موسليني
و أذكرها بعمر المختار الذي كان السبب في إنهباء الفاشية في
إيطاليا .

وجدت بداخلي إستعداد للكذب في التاريخ والجغرافيا ،واجهت المرأة
بدأت أستعد لإلقاء خطاب في وجهها بلفة وقحة .

أنا حفيد عمر المختار ، و أني بصدد تشكيل جيش إسلامي لإستعمار
إيطاليا وإستعادة الأندلس .

لم يقنعني الإتياء الى عمر المخطر ، الإنتساب الى عمر الحيام أفضل
فربما عبته مترجمة الى الإيطالية .

إرتديت ملابسى ، تذكرت المرأة التي دققت باب غرفتها الليلة الماضية
شعرت برغبة البحث عنها ، إذن لأنزّل الى المطعم ، أو على الأصح
لأصعد ، فالمطعم المخصص لفتور الصباح يوجد في شرفة الطابق
الأخير ، نسيبت عاملة التنظيف و تنازلت عن خطايي و عن شجرتي
العائلية التي حرت فيها ما بين عمر المخطر و عمر الحيام .
وجدتني و أنا أنتظر المصعد أفكر في البهر تومورافيا ، من أين جاء
هذا العجوز ، ربما لأن شكل العاملة التي تقف في آخر الكولوار ، و
ربما لبست هي نفسها التي سبت العرب و المسلمين ذكرتني بواحدة من
شخصه .

عاملة التنظيف معها الحق فالعرب و المسلمون إمتان أو أمم للفساد .
الماء الهارد و كنا الهواء المنعش الذي يسري في الكولوار جعلني
أتخلص من عصبيتي التي أحسن إبن خلدون وصفها و تحايلها دون
عقدة قوية أو حس دهنى ، ربما لأنه كان هربيا .
أردت أن أقول و أنه عاملة التنظيف الى أن بعض الماء سال فوق
الموكيت ، كنت أريد أن أبين لها بأنني حضاري ، و في ذلك اعتذارا
باب المساءير الذي أقصد علي مشروعى هذا .

لا بأس أشرب القهوة وأرجع < الهريكا > / < الرلاعة > للمرأة التي
تنام في الغرفة المجاورة .

استقبلني مضيف المطعم بهشاشة أختار لي طاولة صغيرة ، ما كنت
لأختارها ، بلطفة أجبرني على أن أقبل إختياره هذا ، بل أنني أكدت
موافقتي بقولي :

- شكرا .. شكرا قلتها ثلاث مرات .

مسحت الطاولات ووجوه رواد المطعم باحشا عن المرأة كان المطعم غاصا
لم زلكن من تميز الزبائن ، الآن فقط أكتشف أن الطاولة التي
إختارها لي لا تشرف على بقية الطاولات ، الرؤية منها محدودة
سارية مريحة لمحجب المشهد .

المرّة الأولى التي أشرب فيها عصر الطاطم و بعد أن أتيت على
نصف الكأس ، تحركت معدتي و سعد قلبي الى حنجرتي ، أسرعت
الى < التواليت > أفرغت كل شئ ثم عدت الى طاولتي أشرب القهوة
بالحليب والكرواصو والزبدة .

رائحة القهوة المعصورة تذكرني برائحة القهوة التي تصنعها حلبة
زوجة أبي التي تصفني بثلاث سنوات .

لنا لم أترك وهران لأني لا أحبها فتلك مدينة فتنة ، كان علي أن
أختار الخروج منها كي أحبها أكثر ، أنا متيقن أن الكثيرين من عرب
المدينة و وهران يطمنون سفري بحلبة .

أقسم لكم أنها لا علاقة لها بالقرار .
 أنني أتلهذ حين يكون القرار شخصيا .
 كان علي أن أبيع السيارة التي ورثتها عن أبي ، أخي الأكبر إختار
 من مخلفات أبي المحل التجاري الذي حوله الى مقهى ، أما أخي
 الأوسط فقد فضل قطعة الأرض المغروسة برتقالا ، أنا أخترت السيارة
 بعد شهرين من وفاته بعثتها حولت دراهمها الى عملة صعبة و إشتريت
 هذه التذكرة التي أرحل بها الى بغداد .
 أنا أعرف أن أخوي إرتاحا حين إخترت السيارة ، بل أن أصفر هما
 ضحك من ذكائي ، أما أنا فلست نادما على هذا الإختيار ، حليلة
 هي التي إقترحت علي ذلك لأنها كانت تعتقد بأنني سأركبها الى
 جانبي و أنطلق في الإبحاء الذي تشرق منه الشمس ثم في الإبحاء الذي
 تغرب منه .
 أما أنا فكنت أريد بهذا الإختيار أن أقطع العلاقة بيني و بين أبي ،
 ما دامت حليلة موجودة في حياتي على هذا النحو .
 يكفيني أنها الإرث المملوب الذي خلفه لي .

هل تريدون أن تعرفوا كيف مات أبي ، لقد وجد في قاع البئر جثا
بالمناسبة ، نحن لا نشرب ماء الحنفية ، فمن ذلك اليوم مساء الذي
سالت فيه الحنفية بالدود الأسود ، أقسم أبي أن يحفر بئرا في الباحة و
أن يستخرج الماء و لو كلفه ذلك بيع قطعة الأرض المغروسة ببرتقالا ،
لكن الماء ظهر بعد عمق خمسة أمتار ونصف ، سحب أنا وبأبي الماء
المدفونة في الحائط الملح والموصولة بحنفيات البيت ، وربما أمام
الجميع في مجمع الزالة العمومية ، أم يكن أبي أحمس و لكنه سقط
في البئر التي حصرها سوراء بإرتفاع يزيد عن الستين سنتمترا ،
لم يدفعه أحد و أبي لا يؤمن بالإنتحار فتلك أخبار لا يصدقها .
أبي تقول :

- حليلة هي التي فعلت ذلك ، و كانت بشكل غير مباشر تريد أن
تدخل أ نفي في هذه القضية .

أنا أعرف معرفة البقين أن حليلة لا يمكنها أن تقوم بمثل هذا الفعل
المشين فهي امرأة لا يمكنها أن تقتل و لو ذهابه .

لكني أصارحك أقول أنني أشك مرار ، لذا فالقتل بأشكاله

الضارية في الوحشية يكون في أغلب الأحيان تعبيرا عن حب جارف
< هند > حين نالت حزمة عم الرسول العربي و أكلت كبده أو رغبت في
أكلها و الأمران سباز ، كانت تقوم بهذا التصرف كتعبير فوق طبيعي
عن حب غير طبيعي و طبيعي ، معها الحق ، كان عليها أن تقوم
بأكثر من ذلك .

العاشق إذا لم يستجيب عليه أن يموت فوراً ويطرق شرسة .
نظرات حليلة التي تزكد لي أنها تهت عن الكبد بين أحشائي إنها
تستطيع و بكل برودة دم أن تقتلني و تملأ دمي في قنينات الكازوزة
و تشرب منها كل ليلة كأساً قبل أن تنام ، و حين ينفذ الدم المعباء في
هذه القنينات تشرب سما و تموت و تموت .

خزرات الشاعر برهبتها تشبه خزرات المجرم في سربتها و سحرها و
غموضها الضبابي لذا أعتقد و الله أعلم أن حليلة يمكنها ، بل أنا
متأكد من ذلك أنها قتلت أبي ، لا لأنها لم تكن تحبه و لكن لأنها
كانت تحبني حب هند لحمزة .

أنا أعتقد أيضا أنها كانت تتمنى أن تراني بطولي و لون عيوني
المائل الى الأزرقاق في قاع البشر .

إنها كانت تراني أنا في أبي مسجى على المحمل في بهو الدار .
كم هو شكاك هذا الإنسان ، مستحيل أن تمنى لي حليلة شبتا من
هذا الذي يدور بذهني ، إنها امرأة تسأل عني أزيد من ثلاثين مرة
في اليوم إذا ما قلت إن رأسي يؤلمني ، تذوب لي قلبها في كأس ماء
معدني مع حبة أسبرين و تقف عند رأسي حتى تتأكد من أنني لم
أترك شبتا من الدواء في قاع الكأس .

تتمنى لي العافية ، تلمس جبهتي بقشعر جسدي ، تقول لي مهما
كانت حرارة جسدي ، النار في أحشائك عليك أن تنام فوراً ، هذه عين
خبشة .

أريد أن أضحك ، تعرف هي أنني أحس ضحكتي ، فتتجرا . للمس
جهتي و عنقي ، تطيل حركة يدها الناعمة على عنقي و تحرك
أصابعها في شعر صدري .
أنظر إليها تلتصق بعناني بعينها الذئبيتين .
تزرع إبتسامة ضوئية على شفتيها .
نسكت قليلا ، حينما تسحب يدها التي كنت أتمنى ألا تسحبها ،
أتنفس بغبى أو براحة لا أستطيع أن أميز ما يدور بداخلي ، هل لا
يمكن تبين ذلك ، ترد الفراش على جسدي الذائب فيها ، تسحب خلفها
الباب بعد أن تنبهني الى أن قنبنة ماء سعيدة المعدني عند رأسي
على الطاولة الزجاجية .
لو لم تقتل حليمة أبي لكنت قتلتها أنا ، كان على واحد منا أن
ينسحب من الساحة أن ينتهي و إلى الأبد .
حين أشعر أن الماء على الطاولة الزجاجية أحس بالعطش ، أشرب و لا
أرتوي ، لا يأتيني النوم فأنا أنتظر حليمة متى تدخل ، إنها لا ريب
داخلة الآن حاملة صينية عليها كأس < تيزانا > برائحة الأعشاب
القوية تدخل حليمة علي تعلم أنني لم أنم و لا يمكنني أن أنام ، أشرب
من كأس < التيزانا > جرعة وارده الي الصينية التي تفضل حليمة أن
تقبها بين يديها ، ربما لأنها بذلك تشعر بشفاهي التي تشرب من
الكأس موضوعة بين يديها .

نسبت ، الصينية التي تحملها حليلة بين يديها و تضعها ركبتيها عليها رسوم صينية آسبوية خرافية ، أسد يفترس غزالة .
وضعية إفتراس لا تحمل دلالات الجوع الذي لأجله نأكل ، إن في عيني الأسد شيئ آخر ، نار غير مرئية مصورة فيها ، عبقرى هذا الرسام ، كان يرسم ما لا يرى .

دون ثقافة روحية لا يمكن للرسام أن يقوم بعمل متميز .
زوجة أبي حين تعرف أنني أتتبع تفاظيل الصورة على الصينية تحاول قدر الإمكان و دون أن تشعرني بأنها تتابع عيوني ، أن تعرض أمامي عيني الأسد بكل ضوئهما الحامل لجمال الجريمة و رومانسية قتل الغزالة التي بدت و هي تنشطر الى إثنين مبتهجة بهذا الموت العظيم .
حليلة تعرض أمامي المنظر و هي صامتة .

لا تسمع في الغرفة إلا نقر كعب الكأس حين يلامس صفحة الصينية التي كلما تمعت في الغزالة والأسد بدأ نحاسها أكثر لمعانا .
حتى و كأن لمعانة يشبه ألهبه النيران .

أشعر بالعطش ، أطلب من حليلة التي تبلغ من العمر ثلاثة و ثلاثين سنة عيناها تقول كما تقول عيون الغزالة في الصورة أن عمرها أصغر من ذلك بكثير ، أبي الذي مات في قاع البئر و الذي تتلته حليلة و لم تقتله لأن كل ما فيها لا يمت بصلة الى فعل إجرامي . الأسد في الصورة لا يمارس عملية قتل لأن الغزالة مبتهجة .

الموت جمع ، لا يمكنه أن يكون مفردا ، مفسرو < القرآن > و علماء
الإجرام تنقصهم الثقافة الشعرية و التعمق في فلسفة الأثران و
المساحات و الأحجام .

الموت بالجمع ، لا وجود لموت مفرد .

أبي الذي مات على كل هومات و إنتهت الحكاية ، لكل واقعة
حكايات متعددة تروى .

لأبي حكاية أخرى عن موت والدي ، أبي هذا كي يتزوج حليلة زاد
في عقد ولادها سبع سنوات ، كان ضروريا القيام بذلك فأبي قرأ
المتون و جلس على حصير القرويين و الزيتونية .

لا يوم انشا كان قد تعلم تناول الحشيش في القرويين و تناول
الزيتون في اللاقي في الزيتونة .

الدنيا < ذنوبات > لا يمكن فصل هذه عن تلك ، و تعلم أسورها تكون
بشكل متداخل و معقد .

من عيون مصطفى تشع براءة ، تلك البراءة التي تخلف الحماقات
الكبيرة متبوعة بضحكة .

الجنود و الضباط و ضباط الصف الذين يتحلقون حول مصطفى
يجعلون الحكاية في فمه أكثر سبولة و إندلافا ، لا يريد مصطفى
للحكاية

أن تسير في طريق مستقيم ، الطريق المستقيمة عملة .

يدخن . يشرب من القهوة ينتقل للحديث عن عمر الحهام الذي أراد أن يتسبب اليه في حضرة الإيطالية عاملة النظافة في فندق < الملكة > . الإحساس بالإنتماء الى شجرة عمر الحهام ليس إحساسي وحدي أنا أعتقد أن الذي أطلق إسم الحهام على ذلك النوع من النبيذ الجزائري . يملك هو الآخر هذا الشعور . لأن المصلحة التي تحمل إشارة القنينة و التي كتب عليها باللاتينية < الحهام > فيها من العناية المبالغ فيها . و أن الذي كتبها لم يتم بهذه المهمة بحياد بل إنه هو الآخر يحمل في خطه رغبة الإنتماء الى < عمر الحهام > .

لم يفهم الكثيرون من الجنود حديث مصطفى عن فلسفة الخط لم يكن يهمه أن يفهمون فحديثه عن الحهام كان شبه إستكمال لحديث مع الذات بدأه قبل الآن و كلما ساء الفموض حديثه كان الجنود الأميون و الضباط ذوي التعليم التقني يفتحون أفواههم إندهشا لذلك . و ربما هذا هو الأمر الذي جعل مصطفى يتمادى في حديث غامض أكثر فأكثر .

كان يجد متعة في الإرهاب النفسي الذي يسلطه على من حوله فيخلط الكلام بالكلام حتى لا يفهم من كلامه شيئ . ينسل من بين الجنود و الضباط تاركا في عيونهم سؤال الإبهام .

يرقص مصطفى و يرقص مقلدا الراقصات المصريات ثم ينطلق في الحديث عن مشاهدات القاهرة ، عن رما التي تمنى أن يأكلها حبة و هي تعوم في الهواء رقصة أمام سكارى الخليج الذين يملأون كاهاربهات المدن المصرية.

نهار القاهرة للمصريين و ليلها لغربان الخليج أو عربانه ، كل المصريين اللبليين يبيعون ذممهم و بناتهم و كل ما ملكت أجسادهم من فراغات و إنفتاحات للغرباء ، متعبد هناها غزيري محمود أمين العالم . قضيت سبعة أيام و أنا أنتظر دوري في طابور الراقصة رما ، أكلت دولاراتي في الوركسي و النساء الشبهات برما و فارقت القاهرة ذات مساء في اتجاه روما .

كلما نزلت بروما لا أنتبه إلا بعد أن أدخل غرفة من غرف فندق < الملكة > الذي أقسم كل مرة أغادره فيها متبهوعا بنظرات العجوز التي تسبره في النهار ، في الليل < روما > هي التي تشرف عليه ، و هي بالمناسبة فتاة تبلغ الثلاثين ، طالبة في قسم الإنجليزية ، جادة و باردة رما تكون مريضة جنسيا أو أن بها رغبة لكي تكون راهبة على سنة ثلاث عمات لها ، أقسم - أن لا أعود إليه ثانية . أنا الآن متيقن أنني أبحث عن شيء في هذا الفندق لا تعرفه سوى عجوز < الريمسبون > ، رما 11

لماذا حين أدخل روما تاطر السماء ، ثمان مرات دخلتها و في كل مرة
أمطرت .

في الصيف كما في الحريف كما في الشتاء أمطرت ، كان عليها أن
تطر كي أخرج كالحزون ، أمشي تاركا خلفي بصاتي الفضي اللون .
حين أنظر إلى السماء فأجدها تشخ ماء و ماء مثلجا أو من أن هناك
علاقة سرية و متينة ما بين المطر و العبقريّة ، مثل هذا الكلام قالته
لي < روسا > فتاة الثلاثين التي تشتغل في الرسبيون بفندق الملكة
، كان ذلك ذات ليلة فاجأتني أنفخ بخارا من فمي كالمجل على زجاج
النافذة ذات اللون المائل إلى الرمادي ، قالت كلاما عن أسماء أعتقد
أنها مهمة في الفن الإيطالي ، أحسست بذلك من خلال نطقها لهذه
الأسماء .

في تلك الليلة على الرغم من أنها شرحت معي كثيرا فإنها لم تنس
مهمتها في إستقبال بعض الزبائن الذين كانوا يعرودون متأخرين
مضمرين كانت تعاملهم كالأطفال تصاحبهم حتى أبواب غرفهم ،
أسمعها تقول للواحد منهم ، تصبح على خير .

ثم أسمع صوت باب المصعد يفتح ، حين تهاجمني خطواتها الموسقة
أترك منظر المطر و ألتفت إليها .

حزنت لأن روسا جليدية و أنها تقامس كل رغباتها المشروعة و غير
المشروعة بتتغير مخارج صوتها .

إنها مخلوق آخر ، ربما هي التي جعلتني كل مرة أقسم ألا أعود الى هذا الفندق و في كل مرة تعجبتني أدق باهه بذلك الجرس ذي النغمة المسروقة من حنجرة الكناري .

المعذرة يا عجوز الريبسيهون يا وجه نهارات فندق الملكة .

قال جندي أسود البشرة ، بحب ترديد أغاني عبد الوهاب الدكالي و جبل جباله .

-أكمل حكاية حليلة :

- أي حليلة تقصد يا صاهور ، كان علي أن أهدأ لكم الحكاية من الأول فحليلة بغنائها هي التي بعثتني الى بغداد ، لم أكن مطلقا راغبا في الذهاب الى هذا البلد على الرغم من كل الحب الذي أكنه للمنصور . إنه شعور غامض يشبه الشعر أو لذة الحكاية ، أحكي لكم بصراحة . أن عضوي الجنسي أنتعض أول إنتعاضة شقيقه في حضرة لذة الحكاية ، فحليلة أمي التي كانت محكي و هي تعرف فن الحكيم على أصوله لا كمجاولينا الذين أفسدتهم أخبار الجرائد ووسائل الإعلام المرئية و المسموعة .

كان علي أمي أن لا تعلمني غواية الحكاية ، و كان علي أبي أن لا يتزوج من حليلة التي تشبه أمي في الاسم .

جمعت حليلة ، لي أدهاشي في حقيبة ، و جمعت حليلة أمي أدهاشا أخرى في حقيبة ثانية ، أما أنا فكان علي أن أرحل أن أغادر

<المحمدية>

محملاً يعطر إحدى عشر نوعاً من البهتقال ، لم يكن أمامي خياراً آخر
طرقتني أمي الأخرى التي تشبه أمي أنها ليست أمي مرات محاولاً أمي
أن تقلد صوت حليلة كي أنتبه إلى فحوى كلامها جيداً ، أن في قلب
الأمهات قوة غريبة ، و مرات كانت حليلة الثانية تقلد صوت أمي حين
يكون الموقف يحتاج إلى حديث لا بلاغ فكرة ما .

كان في أمي شين ما و كان في حليلة شين ما .
خرجت أتمتع ظلي و ظلالتي و لأول مرة أشعر أن الإنسان لا يمكنه أن
يعيش بدون ظل ، و إنه هو رأسماله الذي يذهب معه حتى القبر و
الذي يفني معه .

بالله كم هو طويل ظلي .
و كم هي ضيقة الطريق التي رأيتها الباردة عريضة و ها هي السماء
على متر من رأسي .

أعسى بالإختناق و الإحتراق .
أنتنى أن أترك الحية يبتلع في أول وسيلة نقل أركبها .
أرى ما بداخلها دون أن أفتح عيني و دون أن أكلف نفسي عناء سحب
السلسال .

هذه حقيقة أمي فيها قبحي الأزرق و المربع و المخلوط و الأبيض
الثلجي الذي تحبه كثيراً و تغلب مني أن ألبسة حين أنزل إلى وهران

يوم السبت ، لأن السبت يليه الأحد و في ذلك اليوم لا بد و أن ألتقي تلك العباسية التي لأجلها سرقت مني أمي اللسان فحكيت لها عنها كل شيء ، ليس كل شيء لأن أفعال العباسية لا تحكي لأحد ، إنها أقوى من صهد الكلام ، إن حكاياها يجب أن تعاش بالقلب .
أمي كانت تحب العباسية ، إنها لم ترها و لو مرة واحدة .

حاولت كثيراً حين اضطرت إلى الإتيان بها لزيارة طبيب الأعصاب . قالت لي : لماذا لا تحضر العباسية كي تقف بجنبني أمام الطبيب كل أطبائنا يتكلمون الفرنسية ، أنا لا أفهم من كلامهم شيئاً . أنت تعرف يا إبني هناك أمراض خاصة بالنساء تحدث فيها مع الأبناء حرام . وجدت الجواب على الفور بعد أن أدركت نية أمي وأصرارها على رؤية العباسية .

-إننا في فترة الإمتحانات و العباسية يا أمي لا تترك كتبها حين يعلق جدول الإمتحان .

سكتت أمي بعد أن بلغت جمة في ردي ، أنا أعرف أنها تقسم بداخلها لو أنها توصلت الى التعرف على العباسية لباعت حلقات أذنيها و أساور معصمها و تشتري لها بمقابل هذا الذهب السجائر و النبيذ و الوسكي ، فقط تطلب منها طلباً واحداً هو أن تقبض علي بين فخذيهما و لا تتركني أنط بين فخذني حلبة .

إن بأمي شيئا ما تجاهي إنني أشك في حركاتها و أشك في طريقة
لمسها يدي و عنقي و إدخال أصابعها في شعر رأسي .
ياالله كم أنت كبير فلتبعد عني شياطينك ، أقسم لك بالنون و القلم و
ما يسطرون أن أصوم رمضان القادم كاملا حتى و لو عبد الناس في
التاسع و العشرين منه .

هذا وعد مني فابعدبالله شبح أمي عني أني أخاف نفسي من
نفسي.

حقيبة حليلة محوي بيضتين مملوقتين و مندبلا و ملعقة صغيرة
كانت تركلني بها العسل الحمر كل صباح .
و بها أيضا زربية كنت أفرشها عند عتبة البيت حين يكون الحرقا قاتلا
على الزربية صورة طاووس يرشها الملون الهائج ، لكنني كلما أمعنت
النظر في شكلها و مشبتها أكتشف برودة الرسام
و تكلفه لا أدري لماذا ؟

في الحقيبة أيضا قنينة عطر بدون ماركة رائحة من رحيق البرتقال .
و هناك أثواب داخلية و دون أن أدقق النظر في هذه الملابس كنت
أعرف من بينها بعض قطع ثيابها الداخلية ، أعرف ماذا اختارت كي
تعلمني ، الشداية التي عليها طرزة لسمة سردبن صغيرة ، لكم
كانت تعجبني تلك السمة التي فوق نهد السمة !
و أنا متيقن اليقين الذي لا يرد أنها خبأت هناك أيضا < سلبها > ،
الذي مزقته ذات ليلة بأسناني و باتت حليلة تفهقه ، و قد احتفظت به
هكذا ممزقا و كانت كلما أرادت أن تشيرني تلبس هذا < السلب > .

و دون أن تقول لي إنها تلبسه أعرف أنها تلبسه ، أنه هنا في الحقيقة
، عذاب يا حليلة > قال الرسول محمد بن آمنه : السفر قطعة من
عذاب < . مشيتها و حركات عينيها ، و إنعكاس أشعة الشمس على
صفحتيها و غرغرة دمعتي زرقاوتين في طرفيها الأيسر و الأيمن و
نزول الكحل الكحلي قليلا كانت تؤكد لي أن حليلة تلبس ذلك الذي
أفكر فيه .

أننا مثل الحيوانات نعرف الأنثى الطارد من رائحتها و من حركاتها
لحليلة رائحة خاصة ، أجمل ما فيها أنها تتهرب مني و لا أراها مدة
نزول الدم ، كنت أعرف أن بها ذلك ، كلما أبحث عنها فلا أجدها .
أعرف أنها ذهبت لزبارة أمها لالة خديجة ، سأحدثكم فيما بعد عن
لالة خديجة .. إن لها حكاية جميلة .

في البداية كنت أتساءل عن هدف زيارتها لأمها خديجة و لكنني عرفت
كل شيء ، فيما بعد و لم أعد أسأل ، بل أنني بدأت أعرف جيدا اليوم
الذي تنهب فيه و البرم الذي تعود فيه ، مرات كنت أنا الذي أذكرها
بذلك خوفا من أن يسيل دمها منها في دارنا فتنبئت رائحة كريهة منها
فأتقبأ و لا أستطيع العيش داخل أسوار هذا الخويش ذي الهندسة
التركية .

الحمد لله لم يحصل شيء من هذا القبيل و أنني لم أشم يوما ما رائحة
دمها .

إن حليلة شاعرة لما تكتب الشعر .

لالة خديجة إمراة في الخامسة و الخمسين بحدس الناس بالثغار التي لا
ينكحها سوى أبي ، لأنه فقير يكتب الحروز و القرع

و إنتفاخ الأوداج و سقوط الأذنين و الهلاغم و التقيحات الحبيشة
و لكن لأن بينهما حكاية .

ففي ذلك المساء لم يمكن أبي بتوقع أن يجد خديجة عند عتبة الهادية
تنتظر دورها أمام شباك الحالة المدنية ، كانت نظرة واحدة إليها كفييلة
بأن تصرعه و تدخله فراش المرض ستة شهور متتالية ، أبي ليس
بطلامن الأبطال الذين يقرأون عنهم الخرافات العربية عن العشق
مؤكد أنه حفيد لعمر بن أبي ربيعة و لكن أبي و على الرغم من أنه
يحب الشعر خاصة قصائد المتنبي و كعب بن أبي زهير إلا أنه لا يفكر
بتاتا في عمر ابن أبي ربيعة و لم يقرأ له شعرا .

كانت الستة أشهر كافية كي يجمع عن المرأة التي رآها من أفواه زواره
الذين تهاطلوا عليه يوميا من كل القرية و من خارجها ، كان أبي
يسل لسان الزائر سلا فإذا وجد خطا يوصله الى الواقفة أمام الشباك
يستبقيه للعشاء و إذا لم يجد في رأسه ما يوصله اليها يفتعل أبي
النوم إنذاك تدخل أمي مصحوبة بأبها أي جدتي التي ماتت يوم تزوج
أبي بحليمة .

لم تكن جدتي التي تتكلم البربرية أكثر من العربية تحمل الصهنية ،
فينسحب الزائر .

قام أبي من مرضه حين أدرك أنه سبصل بسهولة الى تلك المرأة .

تعرف عليها ، لالة خديجة زوجة شهيد . يقال أنه لم يمت إنما تزوج
فرنسية أعجبت بشجاعته . فطلبت من أبيها القاضي أن يطلق
مراحه . ، وهو ما فعله أبوها الذي زوجها وأرسلهما الى < ليل >
بالشمال الفرنسي حيث يعيش هناك ، لالة خديجة تؤكد أنها شاهدة
في المنام و أن أحلامها لا تكذب .

لم تعد تفكر فيه لقد أنساها أبي وجه الشهيد الذي لم يعد شهيدا ،
أبي هو الذي ملاء رأسها بالأحلام ربما أنه كتب لها حرزا من حروزه
التي لا تخطف هدفها .

إنتفضت حكاية أبي و لالة خديجة ، قالت أمي إنه تزوجها ، طار عقل
جدتي لهذا الخبر ، و لم يعد في رأسها سوى بعض العجين الشبيه بالمخ
هل يمكن للإنسان أن يفكر بالعجين الخامر في الرأس بدلا عن المخ ؟
تركت أمي الدار و ذهبت بأماها الى الولي الصالح زورتها الضريح و
ذهبت ديكاً و تيساً ، أقسمت أمي إلا تأخذ معها أحدا منا . أختي
التي تبلغ ثلاث سنوات تركتها تظن كالنحلة ، لم يلن قلبها قالت لنا .
لتأخذه هو و هؤلاء هم أولاده ، ليدخل عليهم لالة خديجة تربهم و
تطعمهم .

الرجال يغدرون ، فيهم عرق من الكلاب .
كانت أمي ساخطة ، رذاذ فمها ينتظير تسب و تقسم ألا تعود
الى هذا البيت الذي قمت أن يسقط على رأسه و على رؤوسنا جميعا .

لم أكن أتوقع أن تصل درجة غضب أمي إلى هذا الحد .
انسحبت إلى غرفة في أقصى الحوش و بكيت طويلا . ثم سرقتي النوم
و هي عطش . كنت أريد أن أتبع أمي و لست أدري لماذا ؟
شيئ ما غامض كان يتفجر بداخلي و هي تهتعد ، ربما هي الأخرى
شعرت بذلك أيضا ، عادت مسرعة جرجرتني خلفها ، إستسلمت لها .
الليلة الأولى قضيتها عند واحد من أخوالي ، رجل طيب كان يكلم
أمي بحبة ، و يعرب لها عن موقفه إلى جانبها مادامت أخلاق أبي قد
فسدت ، التزمت الصمت ما كان يجب أن أسكت و لكني شعرت أن
أمي لم تكن رغم غضبها و نقمتها على أبي موافقة علي كل ما تفوه
به خالي ، الليلة الثانية قضيناها بههر ضريح لواحد من أولياء الله
الصالحين و أسمه < سيدي ميمون > .

كانت أمي تبخر جدتي التي إنهارت صحتها و أسود لون وجهها في
حرف ثلاثة أيام . كانت جدتي تصرخ و تصرخ حين تمثلي رثيها
بالدخان الثقيل أما أنا فقد انسحبت إلى خارج الغرفة التي بها بنى
الضريح . كان هواء الخارج منعشا و حين أحسست بهرودة ما تدخل
عظامي ، عدت إلى الداخل .

وجدت أمي قد أفرشت لي لحافا عليه بطانية خروف بلونين الأسود
القليل و الأبيض الغالب ، و لا غالب إلا الله .

و بسطت لنفسها الي يميني لحافا آخر مهترئا و تمددت ، أحسست
بعظامي تستقيم الواحد الى جانب الآخر قربت أُمي من رأسي
< غراف > الماء و قد غطته بغطاء رأسها الذي بدلونه القرنفلي واضحا
، الآن ها هي جدتي قد همدت لم تعد تصرخ ، أنفاسها تهبط قليلا ،
حتى أصبحت لا تسمع أر هكذا خيل لي ، رائحة التبخير إنسابت من
بين شقوق الباب اللوحي المهترئ المسوم نسيبت أننا ننام في ضريح .
حين أخذتني عيني ، كنت أدرك أن أُمي تراقب جدتي و أن النوم قد
هرب عن عينيها .

لم يعد لجدتي وجود ، ما عدت أسمعها ، أُمي تلمس وجهي و تتيقن
من أنني نائم ، تفتح أُمي باب الضريح ، تجنبج مفاصل الباب
فتفضعها فتعضي الى خارج ، لقد هرب للفور عني النعاس ، الآن
فقط أدرك أنني نائم بضريح ولي صالح .

أكثر من ذلك بهجوار جدتي ، التي لم تعد تميز بين الأشياء ، و ما
عادت تستطيع أن تلجم لسانها عن قول كثير من الكلام المخجل
الفاحش .

بدأت أنتظر عودة أُمي ، الباب الذي سحبه خلفها أثار في إحاسا
غريبا ، اختفت خطوات أُمي في الظلام الذي بالخارج .
ظلام أسود ما في ذلك شك تصورت الرجل النائم في الضريح يقوم من
مقاعه ، يردت وجللي ، ناموسة حنة محوم بالحاح أمام وجهي .

أضطر الى أن أنشأ بيدي التي شعرت بها ثقيلة ، أمي لم تعد من
الخارج توقعت أنها تكون قد خرجت لقضاء حاجتها ، فخالي الذي
رافقتنا من القرية حتى الضريح لم يعتمد عن أخته شبرا ، لأن بعد أن
ذهب الخال الديك والتيس الأسودين ، عاد الى القرية على دراجته
النارية ، لأنه ، وكما قال الليلة دوره و حصته من الماء في سقى أشجار
البرتقال .

أمي ما فتئت تنتظر ذهابه ، لا سظت ذلك جيدا فقد كانت تذكره كل
لحظة بأن الشمس أوشكت على الغروب و أن عليه أن يرجع الى الدار
قبل نزول الظلام ، فقد يفسد ضوء الدراجة فيتعب في الوصول .
ذكرته بذلك أكثر من سبع عشرة مرة و عاد خالي الى الدار قبل
الغروب قالت له أمي و هو بهم بإقلاع الدراجة النارية لا تهتم بأمي
ستكون في الصباح على أحسن ما يرام غاب خالي في أحواض أشجار
الزيتون .

النوم هرب ، ما عاد رأسي يؤلمني و قد شعرت بشيء من هذا
القبيل قبل أن أنام .

مكوث أمي الطويل في الخارج أقلقني ، سمعت حركة أخذت أتتبعها
لكن لا شيء إنها الريح و لا شيء غير الريح .

كان علي أن أنفض جسدي من هذا الفراش و أخرج لمواجهة الظلام إذا
ما وجدتتها تقضي حاجتها سأفعل أمرا ما كان أنقيا و أقول لها
-غلبنى قلبي بأمي .

و كما فعلت أمي و كما في الأول جفجف الباب ، ها هو يجفجف مرة أخرى .

كان الفضاء جميلا شعرت كأننا تخلصت من حصار الضريح و من صمت جدتي الذي قد ينفجر في كل لحظة .

أردت أن أقتحم الظلمة ، لكنني تراجعته خجلا من أن أجد أمي تقضي حاجتها ، تراجعته الى الخلف حتى لا مست ظهري حائط بناء الضريح الذي يربو بيباض غطته الغبرة الحمراء و الرمادية .

قليلًا تومنت ، تفرست في صمت الظلمة ، لا شئ لا شئ لا شئ و لا حركة أردت أن أنادي بصوت خافت أمي لكنني خجلت ، لست أدري لماذا .

قلت ربما لأن قد عادت الى فراشها و لم أنتبه لذلك ، فتحت مرة أخرى باب الضريح و كما في الرتين السابقتين جفجف الباب ، جدتي

في صمتها لامست فراش أمي و لا أحد هناك ، إنسحبت مسرعا

متخذًا قرار البحث عنها ، غرقت في الظلمة ، مشيت بهضعة أمتارا

فإذا بي وسط حقل من شجر اللوز شممت رائحة الدخان ، إن أحدا

هناك ، نحنحت و كحككت معلنا أنني هنا ، لم ينتبه الي أحد لم أنتبه

لأحد وواصلت توغلي في الظلمة ، إذا بي أمام أمي عارية تماما ،

كانت جالسة في حجر رجل لم أعرفه ، لم تعجب أمي مهربا ، لكنها

وجدت الكلام الذي تواجهني به معنفة : > ماذا جئت تفعل هنا أتركت

جدتك لوحدها ؟

كانت أمي تتكلم دون حرج ، تراجعت في الظلمة ، دخلت الضريح
سترت رأسي بمعطفي لا مست جدتي كانت هادئة و باسمة ، إقترعت
منها أكثر ما عاد إحساس الخوف منها موجودا وضعت ذراعي على
عنقها ، و فتحت عيني في الظلمة ، أنتظر جفجفة مفاصل الباب
يعلن عودة أمي .

الرجل الذي كانت في حجره و بين ذراعيه لم يتكلم ، إلزم الصمت ،
أمي هي التي أمرتني أن أعود إلى جدتي ، جمد لساني في فمي
شعرت به كالخشبة ، كان علي أن أقول شيئا كالكلام أي شيء يمكنه أن
يقال في موقف مثل هذا الذي وجدت فيه أمي .

كان علي أن أسألها أن استفسر ، أن أسب ، أن أهكي ، أن أطلب نارا
أشعل سيجارة ، أن أقتلها و أشرب دمها ، لكنني لم أقم بأدنى حركة

إستجبت لكلام أمي عدت ، ها أنا في الضريح أشعر بحجة للذي
بداخل القبر ، أنتظرت طويلا ، لم أنم ، ما كان بالإمكان أن أنام
سمعت الرجل يكلم أمي التي غرقت في ضحكة جميلة .

سكنا فترة ثم صبحها بالخير ، فتح الباب تظاهرت بالنعاس ،
و أنا أعرف أنها تدرك جيدا أنني لست بنائم .

تحدثت أمي على فراشها شعرت بها تتصنت على أنفاسي .

و كأننا نتأكد من أنني لا أزال صاحباً بالفعل .

فكرت لحظة في أن أقتلها و أرمي بها داخل القبر قبر سيدي ميمون صاحب الكرامات .

بعد أن قددت أمي شعرت الأعياء بأكل مفاصلي ، فنمت ، و بعد لحظات سمعت أمي تصرخ ، كانت الشمس قد طلعت و إذا أمي تكتشف جدتي ميتة في صحتها ، سحبت أمي ذراعي من حول عنق جدتي التي بداء جسدها يابساً بدون روح ، لم أتكلم لم أهلك تحولت أمي أمامي الى جسد .

جاء الناس من كل جهة ، ثم أخبر أخوالي فوصلوا حوالي الساعة العاشرة ، الصغير فالأصغر فالوسط فالكبير فالأكبر .

كانت أمي تقول لهم إنها رفعت لها الشهادة ثلاث مرات و أنها سمعت صوتاً رخيماً يخرج من القبر يردد معها الشهادة ، وبدأت تقول لأخوالي بعض الوصايا التي قالت إن جدتي أكدت عليها مرات ثم قالت لخالي الذي رافقنا البارحة أن جدتي أوصتها أن تعود الى دارها مهما كلنها ذلك .

تتكلم و تأكلني بعينها أنا أعرف أن جدتي ماتت و لم ينتبه إليها أحد .

لم أفهم لماذا أعادت أمي على مسمع خالي وصية جدتي بعودتها الى أبنائها

كلما مرت أُمِّي بهجانبي أشتَم منها رائحة لا تزال عالقة في أرنبة أنفي،
رائحة تشبه تلك التي تعبق من مصنع الدباغة الموجودة بوهران ، هذه
المدينة التي أحبها بنوع من الغموض .

حين أفكر في وهران أجد نفسي أفكر في العباسية .
أستسلمت أُمِّي لحزن أزرق كانت تبحث عن الفرص المتعددة كي
تهادلني الحديث .

طلبت مني أن أجمع الأدهاش وأهيوها لمجئ سيارة الجي < 5 > التي
يملكها أحد الجيران لنقل جثة جدتي التي أشعر الآن نحو صحتها بحب
و أخيرا جاءت السيارة ، لفوا الجسد الذي بدا بطوله أطول من طوله
في < بورايح > مخطط بالأزرق والأحمر والأخضر ، المصنوع من
صوف حر مخلوط ببعض القطن سحروا المحمل من خلف ستارة كانت
تنسدل على الضريح من الجهة الشرقية مددوا جدتي فوقه ، صرخت
أُمِّي ذكرتني بصوتها وهي في حجر الرجل الذي لا أعرفه والذي كان
هنا يلعب ببطنها وبفخذها وهي تتأمل وجهه تاره وتتأمل السماء
التي إختفت خلف الظلام ، أخرجوا جدتي من قبة الضريح ، ناول
خالي المشرف على القبة دراهم إلتفتها الثاني بطريقة عرفت من
خلالها أن المبلغ الذي ناوله إياه كان معتبرا .

وضعوا جدتي في بطن السيارة ، قالت لي أُمِّي أصعد لتركب معا
بجوارها ، فإن لنا في ذلك أجرا في تلك الدار .

قلت لها :

اركبي أنت و خالي الأكبر أ ما انا فسا ركب مع خالي الأصغر على
الدراجة النارية ، شعرت الآن و كما في كل أحاديثها منذ أن اكتشفنا
موت جدتي انها خائفة مني و أنها تريد أن تشتري محبتي ، قالت
بنوع من الحزم :

- قلت لك يجب أن تتركب إلى جوارى خالك أحمد لا يحسن سباقه
الدراجة النارية براكبين .

واجهتها بحده رفعت صوتي رافضا أمرها ، استسلمت لكلامي ، ومن
يومها لم تعد تلك التي تأمرني فأستجيب لأمرها دون تفكير لقد
تحطمت سلطتها و ها هي تريد أن تشعرنني بأنها أُمي ، نعم أُمي ...
شعرت بأنها كانت خائفة ، من أن أقشي بأسرار الليل لخالي ، حين
دار محرك الدراجة و التصقت بخالي محبطين خصره بذراعي وأمي
تصرخ اقبض جيدا حذاري من الانعطافات ، ثم وجهت الكلام لخالي
قائلة : أحذره انه يدوخ .

لأدري كيف تعرف أُمي بانني أدوخ ، ربما كانت تريد أن تقول شيئا
ما فقط .

قلت لخالي أريد أن أراجع إلى الدار إنني أخاف حفلات الموت و أكره
الهكاء على الموتى ، سكت خالي قليلا ، ثم وافق دون أن يهدي أي
اعتراض قفزت من على الدراجة ، توقف خالي قليلا حتى تأكد من
أنني دخلت الدار دون أن يعرف من فتح لي الباب .

لم يكن الوجه غريبا ، على الرغم من انه لم يسبق لي أن رأيت ، هل
اخطأت الدار وقد دخت كما قالت أمي ، لا يعقل هذا ، فالصورة التي
تنصدر الحوش للكعبة المشرفة و طواف الحجاج حولها بأياتها الحكيمة
و بعض التبريكات ، هي دارنا ، كانت الحركة غير عادية في الدار
بطانية خروف بصوفها الأسود و الأبيض معلقة في السلك الذي يقطع
فناء الحوش ، ان شيئا ما يجري في بيتنا ، في غياب أمي التي باتت
لهبتها على طريقته الخاصة .

اندفعت نحو الغرفة التي انام مع اخوتي الذكور ، وجدتها خاصة
بالنساء انسحبت بسرعة ، صادفت أختي الكبرى التي تشبه أمي في
وقفتها باستقامة ظهرها و انفراج بين رجليها ، وخصلات شعرها
المتدللة بفوضى خلفها . حين اعادت لي صورة امي حاولت أن اهرب
و الا أواجهها ، لكنها لحقت بي . مسكتني من كتفي سحبني إلى
صدرها ، قالت لا بأس . لم أفهم شيئا . ثم اضافت . اننا سنجعلها في
مكان امننا ، انها طيبة و ستخدم والدنا و تخدمنا .

لم أفهم شيئا لكن أختي و لانها ذكية ، فقد ادركت أنني لم أفهم شيئا
فأعادت الحكاية لم يكن امام ابي خيار اخر ، اما ان يتزوجها هي ،
أو يتزوج امها ، اهتممت أختي ، لامرأة جميلة ، مرت بجوارنا نجر
لباسا وهرانيا يلف جسدها الذي يشبه التماثيل الشعبية ، قالت أختي

موجهة كلامها لي بعد أن أطالت الإبتسامة : هذه هي حليلة .
أختي بليدة لم تستطع أن تحكي لي الحكاية بدقتها الحقيقي ، حليلة
كانت جريئة ، أكثر من أختي ، حكاية أبي هي التي أوصلتني الى هذا
الذي سيأتي ، أبي هي رأس كل المشاكل .
قالت أبي لأخوالي الثلاثة بعد أن سبوا قبر أمهم : الآن علي أن
أستجيب لوصية المرحومة ، سأعود الى بيتي و أولادي .
أخوالي أهدوا بعض التحفط ، لكن أبي كانت مصرة أقسمت أن تطرد
حليلة في اليوم الثالث ، أصفر أخوالي قال لها :
أتركه و مراقباته ، سيجي ذات يوم للبحث عنك طالبا السماح ،
لكن أبي لم تمهل أحدا كي يعبر عن رأيه إذ تركتهم و إنطلقت الى دار
أبي من المقبرة مباشرة قالت :
هكذا قالت المرحومة :
قال خالي الأكبر : على كل هم هناؤها و تلك دراهم .
حين دخلت أبي بوجه مودد ، وجدتني أشرب الشاي المنعنع مفترشا
بطانية و حليلة تواجهني يدين رقيقتين ، تقسم خبز المخلع قسمين
فيسبل الشحم المذاب فتنفذ يديها و تهتسم .
لم تقل أبي شيئا بهس كلام في فمها لم تحبنا ، بلعتها الغرفة
الموجودة في آخر الحوش .

كانت مقفلة ، أخرجت المفتاح من صدرها ، سمعتها تنادي على
أختي التي أفتعلت سبها للخروج ، عند الجارة كي تترك لي المجال
مفتوحا كي أحدث حليلة ، أكل من يدها الحبز اللذيذ .
أنا أعرف أنها تريد أن تنتقم من أمي .
كانت حليلة تلح علي كي أشرب كأس الشاي الثانية فهي خير من
الأولى والثالثة خير منهما ...

تقول حليلة و ترفع صوتها كأنما كانت توجه الكلام لأمي ...
-إذا كان ساخنا فهات كأسك أبرد لك ، لقد أصبحت من لحمي .
أختي عزيزة هي التي تأمرت علي مع حليلة التي لا تكبرها سوى
بالقامة .

لأول مرة أنتبه الى جسد حليلة ، كان هو الآخر ذاتها كشحم الحبز
< المخلع > .

إذا كانت أختي بخروجها قد أفسحت لي مجالات المغامرة ، فدخل
أمي كسر في داخلي كل شيء أنا أفهم أمي جيدا ، إنها الآن في
غرفتها تخطط ، و حين تبدأ الهجوم لن تخسر الحرب ، إنها تبدأ
إذا أدركت أنها ستربحها دون أدنى خسارة .
أمي تفهم لعب النساء جيدا لكثي أقول لها ، إنك لا ترحي معركتك
ضد حليلة ، ساكون الى جنبها ، سأشن الحرب التي لا تتوقعينها .
حاصلها الحاطي هو أنك تعتبريني أهلك الذي لن يفتح نار مسلسل
ضدك سأعرف كيف أحارب لأنها الحرب التي أدخلها بإيمان
في النصر .

سأسحب منك لسانك ، سأحولك الى خادمة تغسل كل مساء قدمي
حليمة و تغسل لها كل ثمانية وعشرين يوما خرقها المغمسة في دم
الحبيض و في دم النفاس ، هكذا ستنتهي الحرب و إلا خرجت من هذه
الدار و تركتها لي أن و حليمة و ظل الحائط المزين بفروع الدالية التي
يتأخر نضج ثمارها حتى شهر جانفي ، و تتركين أبي فرحا بفراش
حماته أم < حليمة > .

قالت حماة أبي و هي تبكي و تمضغ الحلك أو السواك أو عرق السوس .
لا تتركني ، و هذه حليمة هدبة لك خذها زوجة أو خادمة
و لا تتركني فأنفاسك هذه التي تشبه النسيم دونها لن أعيش ، لم
يكن أبي قد إلتفت الى حليمة ، أمها هي التي أثارث فيه الإنتباه
إليها حين حاولت حليمة أن تهرب منه لم تجد فسحة .
أمها كانت محاصرها و مراهاقات أبي كانت تجعله يتورط أكثر في إجتاه
هذه الفتاة التي لا يتجاوز سنها الخامسة والعشرين .
بدأ أبي المغامرة حين طلب من حليمة و أمها أن يناما معه في فراش
واحد ، قالت حليمة :

- كان أبوك و أنا الصغيرة الملتهبة في الفراش ، أميل الى أمي ، كنت
أشعر به مجاهي باردا ، أقسم إخوتي أمامنا ، أنا و أمي ، أن يدهبا
أمي من رقبتها إذا ما هي قبلت الزواج من هذا الرجل .

تراجعت أمي حزنت أنا أيضا حين شعرت بأمي تبرد نار جسدها الذي رأيت في الليالي يلتهب في حضرة الرجل الذي أصبح زوجي ، على سنة الله ورسوله ، غصبا عن حليمة التي تحمل أسما مثل أممي و مثله إسم امرأة أرضعت الرسول ، و التي تغنيها في أعياد الميلاد النبوية أكثر ما تغني أمنة .

هو التاريخ فرص ، الشهرة أيضا فرص و ربما حظ كما تقول أمي . قالت حليمة التي لا تكبر إلا بالقامة أختي و هي الثالثة في الترتيب من ناحية الإناث و الخامسة من ناحية الأخوة جميعا كان على أبيك أن يختار ، أن يحتال كي تظل أمي في حجره .

فأهرم إتفاقا بينه و بين أمي على أن يتزوجني أنا ، على الرغم من صغر سني ، الذي لم يثر أي تردد أو تساؤل لدى أخوتي الأغنياء المهم قالوا :

-نضحني بأختنا و نحفظ شرفنا بالزواج ، و نحفظ أمتنا من القبل والقال .

كنت أعرف و أنا متيقنة من ذلك ، زنهم جميعهم يقولون في سرائر أنفسهم لتأكلهما البحار و المحيطات حين يكون الأمر شرعيا على سنة الله ورسوله .

كلامهم غامض و لكني متيقنة أيضا أنهم يقولون :

- الآن إذا ما جاء الدار أو قضى ليلة مع الأم بحجة أنه صهرها فليس للناس حق في الكلام ، إنه منا .

تقول حليلة و هي جالسة عند قدمي تنتظرنني كي أنتهي من شرب كأس الليمون المسكر و الذي تعبق منه رائحة القرنفل .

كان أبوك مصر أن نذهب لزيارة أمي مرة في الأسبوع ، كنا نجهز لهذه الزيارة ثلاثة أيام من قبل ، أبوك في حضرة أمي يبدو طفلا مدالاو أمي بكل هيجانها كانت تحضر له أكلته المفضلة : الدجاج المحشو بالرز المفلفل ، إلى جانبه صحن من الحليب الارائب ، و سلاطة الطماطم و البصل المرشوشة بالزيتون الأخضر و الأسود .

كان أبوك يأكل و أمي تحصى عدد اللقمات التي يوصلها إلى فمه ، كلما توقف ليشرب كأسا من الماء أو فازوزة سوداء - وكم كان يحبها - تهرع أمي لتقسم باجدادها الشرفاء و باسم النبي و الصحابة المبجلين أن يواصل الأكل ، حين تنزل الظلمة من السماء كنت أشعر أن أمي كانت ، كلما زارها أبوك تحس بان الظلام لا يريد أن ينزل بسرعة .

و حين ينزل رغم تأخره كانت أمي تخرج الصينية بكزوسها المغربية الملونة ، فتعبق رائحة النعناع ، تجلس أمي قبالة أبيك .

أشعر بأن وجودي في وضعية كهذه وجود بارد و لا معنى له ، فأسحب نفسي الى الغرفة التي يجلسان في واجهتها ، أفترش ما أصادفه في طريقي دون أن أكلف نفسي حتى أشعال المصباح .

كان أبوك يحكي لها مغامراته ، فهو قد زار الهند و السند .

و هو في ذلك يستعيد أمام أمي ما قرأه في رحلة إبن بطوطة ، و أمي
أنصورها من تحت الشروشف الخفيف الذي يدرثني بعد أن أتجرد من كل
ثيابي ، هي عادة تعلمتها منك فأنا لا أنام إلا عارية إلا منك فأنت
غطائي و سمائي التي لا تزول و لو أنك سترحل الى العراق التي
يقولون أنها بعيدة جدا جدا .

< أمي أنصورها > وهي تسمع حكايا أبيك متعجبة ، و كلما غرق
أهوك في وهج الحكايات المتصاعدة من أدغال الهند و الأماكن التي لا
مكان لها سوى في ذاكرة إبن بطوطة ، كانت أمي تنزع عنها ثيابها
أهوك كالساحر يطلق حمام الكلام ، يخرج من الكلمات الإدهاش و
الدعشة ، أي يزوق و يختلق و أم حليلة تكشف جسدها ، و حليلة
كالقطة تجمع الحكايات و تنسى أن زوجها يرتكب الظلام ، كانت تعرف
أن أمها مع ثيابها لم تكن حزينة لذلك بقدر ما كانت تتحنى أن
تتأخر الا فترة أطول كي يسبح كلام الأب فنبض كالطوفان على
الأشياء ، و المخلوقات الغريبة التي يطلقها من فمه .

كنت يا - حظي مأخوذة بهذه الحكايات أدفع أباك الى أن نبقي
ربما ليلة أخرى ، أمي كانت تترصد به حين ينصرف في الحكاية كي
تدخله بين نغذيتها ، أما أنا فكنت أجد المتعة في لسانه الذي يسيل
لذة أخرى لا توجد في الرجال الآخرين .

مرات أرغب في ان اثبره ، في بيتنا هذا ، كي يحكي لي قليلا عن
أمة بلاد ، لم يعرفها ، واصنع له مثل ما تصنع له أمي ، أرزنا محشوا
بالرز أو دجاجة بلدية ، فكان يأكلها بنهم ثم يقوم لبتوضاً و يصلي
صلاة العشاء و الوتر و الشفع ، ثم يتمدد و قبل أن التحق به يكون
قد أعلن شخبيره .

أمي لا أدري كيف تتصرف حتى تبقى به يقظا ، سألتها مرة فقالت لي
تلك حكمتنا نحن ، سكت .

و أقسمت أن أغامر معك بامصطفى ، أنا لا أريد ان أذهب معك إلى
العراق ، ولكني أريد أن أبقى هكنا في حجرك ، أحكي لي حكاية
أو أصمت و أتركني أحقق في عينيك فهما أغرب حكاية .
أتعلم بامصطفى أنني خفت منك تلك الليلة حينما رأيتك لأول مرة
سكرانا ، كان كلامك ثقيلا ، و كنت كالطفل في مكانك ، كنت تتمنى
ألا تذهب إلى العراق أن تبقى هنا في هذا المكان ، هنا في حجري ،
شجعتك قائلة :

-مستقبلك بامصطفى ، ستمود بعد سنوات قليلة دكتورا ،
ستنساني و ربما ستحضر معك امرأة عراقية ، أنا لا أعرف جما
العراقيات و لكنه لا يبدو مشيرا و أنني أعرف أنك صياد ماهر و أنك
ستختار أجملهن ، ستنساني بامصطفى و ستقول لي حينما أريد أن
أخلو بك :

حليمة لقد إنتهى لعب الأطفال الذي بيننا ، أنت مثل أمي .

أدرك بهذا أنك و أنت تقول ذلك تستعبد ليلة الضريح ، لا تحاول إن
تكذب علي فانا أقرأ ما في قلبك ، حين أحاصرك بهذا الكلام تهكي
و أهكي معك ، تخرج أملك من الغرفة التي في آخر الحوش .

تدخل المرحاض تسمع شرشرة بولها ، نسكت ، تعود الى غرفتها بعد
أن تقوم بإشارة تبين لنا بأنها رأتنا و نحن هكنا ...

يضحك أبوك فلا نخاف تقول لي المهم أن لا وجود لرائحة الخمر ، أبي
الله يرحمه و يوسع عليه .. كان يؤكد لنا و يعيد هذا باستمرار ، أن
أخيت الجبانة هي الخمر ..

كنت أكثر شجاعة معك يا حليلة حين شرعت ، كان يمكنني لولا الخمرة
التي أوصلتني إليك ، أن أكون داعية في حزب سياسي يجري وراء
المناصب و كراسي البرلمان ، و ربما كنت شاعرا ... جميع الشعراء فيهم
خلل .

أنت من لحم أبيك معرفتك بلذة الحكاية و فتنتها تؤكد من أنك من
صلبه .

المرأة يا مصطفى تحب في الرجال الحكايات ، الكلام يسيل من المرأة كل
شيء .

أتمنى أن تكون الحياة حكاية تسمع ورأسي على فخذ رجل دافئ .
حينما أحكي أشعر بجسم حليلة ينبت الشوك .

كانت تندفع بعينها في غموض يشبه تلك الحال التي تحصل مع
الدرأيش في < الحضرة > .

تذكرني حليلة و هي تسرّمع الي و أنا أحكي ، أكذب و أحرف .
أنسب ما فعله و قاله غجري لنفسى ، أعرف مرات أنها تعرف أنني
أكذب و أنني أنتفخ كالدبلك الروسى كى أغرقها فى سمور عجيبة .
و كانت و هي المذوبة المذابة فى الحكاية و تضاربها ، تذكرني و أنا
أعلق بأشخاص غريبين و جميلين يعرضهم أمامى جدى كلما زرتة .
بأخذني بالحكاية التي يقف أشخاصها ضد الموت و ضد الزمن و ضد
منطق الحياة الخاطئ بأخذني الى الدهشة و منها الي النوم جدتي هي
التي تتكفل بالمهمة كى يخلو لها الجو مع جدى ، ترمى بي في
فراش يعد مسبقا في الغرفة المجاورة في الصباح ، أسأل جدتي عن
وجودي في هذه الغرفة ، جدتي التي تكون منشغلة في إعداد خبز
الفتير < 1 > لا تولى أي اهتمام لسؤالي ، يتكفل جدى بالجواب قائلا
- الحكاية هي التي أخذتك الى الغرفة الأخرى .
أصدق لأن جدى لا يمكنه أن يكذب ، و شخوص الحكايا لا يمكنها أن
تخلف وعدا في حضرة جدى .

عل رأيتهم امرأة تنوب في إدغال الحكاية ، إنها حليلة .
كلما أحكي لها تضع رأسها على ركبتي تطلق نظرها في المخلوقات
التي أخلقها من الكذب الملون ، أنا أعرف أنها تعرف جيدا و جيدا

جدا إنني أكذب و لكنها تريد أن تقتنعني بأنها تصدق ما أقول .
مرة سألتها ما يجعلك يا حليلة في هذا الذي أقول قالت لي :
تعجبني الحكاية ثم سكنت ، كنت أدرك جيدا أنها أكلت نصف
الجواب ، الذي أفهمه أنا ، دون أن تتعب نفسها في قوله و هي
بدورها تدرك أيضا أنني أعرف أنها تعرف أنني أعرف ما تحبه في
حكاياتي ، أقول لكم بصراحة أنها كانت تحب طريقة حركة شفتي ،
و كنا طريقة ابتلاع الريق ، كانت حليلة لا تنزل عينيها من شفتي
حين أتكلم .

بالمناسبة أقسم لكم إن صوتي مزعج في الغناء ، إنني ما خلقت
لذلك إن في محرك الشفتين سرا .
حليلة وحدها تفقه الأمر جيدا .

صبت لي كأس شاي و هي تقول ، لا بأس ، لا يقتل نشوة السكر
لن أعطيك القهوة .

أعرف أن حليلة تحبني أكثر حين أكون في حالة سكر ، لا شيء إلا
لأني أكون رقيقا و حساسا ، الأمر الذي يسمح لها هي الأخرى كي
تكون معي طفلة .

مرة دخلت عليها في حالة إنهباء ، كنت قد شربت كثيرا ، قالت لي
بعد أن سحبتني إلى الغرفة و أقفلت علي الباب و إنسحبت :
- عليك أن تبقى هنا ، أفعل ما تريد داخل الغرفة .

منعت عني حتى الذهاب الى المرحاض ، لأنها أدركت أن ذلك
يزعج أبي كثيرا ، تقبات في الغرفة ، و لا أخفي عليكم أنني
تهولت في طست أفرغته من الملح .

في الصباح حين ذهب أبي و دخلت علي قالت :

- كان علي أن أسجنك أبها الغبي .

سكت و لكنني بدوري أقسمت لها أن أقوم بمسح أرضية الغرفة
لوحدي ، حاولت أن تضحك من فكري و هي تسحب > الجفاف
> و سطل الماء و > الغريزل > الى وسط الغرفة ، لكنني ألحمت
أن أغسل قبني ببدي و بالفعل قمت بذلك و لكنني أخفيت عنها
قضية طست الملح الذي تهولت فيه .

حليمة عفرينة لا تفوتها فائتة ، كانت تنظر الي وأنا أمسح
القيء ساخرة من طريقتي في تجفيف الأرض ، أنت لا تصلح
سوى للإفساد ،

أنت طفل مخرب .

قسمت رائحة القهوة على نار الغاز ، حليمة تحمص القهوة بيدها
و تدقها و تطحنها بمطحنة > مولينكس > .

دون أن يرفع كسكبطته من علي وجهه .

و د زلاصيت و بركاك من التهواز ذبحتهم نعجة أم معزة .

سكت الغزواتي ، لم يكن ينتظر هذا التعليق .
إرتظام علبة الكبريت بمصدر البربري أحدث صوتا .
دون أن يرفع كسكيطته من على وجهه قال البربري :
- طز .. أنا عبدت مع الكولونيل والضباط الكبار ... أكلنا علي
مائدة واحدة .. مائدة طولها أربعة أمتار طولا و تسعين سنتمترا
عرضا ..

لم ينس الكولونيل أن يقدم لنا تهاني العبد ، و أن يهتسم لنا أهضا .
كذب الذين قالوا أن له أسنانا من ذهب أصفر ، أسنانه بهضاء كالثلج .
هذا هو الشهر الثامن عشر الذي أقضيه في الشكنة هي المرة الأولى
التي أشاهد فيها الكولونيل وجها لوجه .
كنت أعتقد أنه ليس هكذا .
لا يجب أن يكون الكولونيلات هكذا .
بهذا الشكل فهم لا يخيفون .
كنت أعتقد أنه أجمل و أطول و أكثر و سامة .
لأول مرة أعرف أن الكولونيل مقطوع الساق و أنه لا يستطيع أن يمد
يده لذبح خروف

كان على الحكومة أو وزارة المجاهدين أن تشتري له قدما أدمية
من بنك الأعضاء الجسمية التي حلل بيعها الأزهر الشريف .

برافوا عليك يا أزهر .

القدم المعدنية مزعجة و صوتها غير حضاري لا يليق بكولونيل .
الكولونيل رتبة مهمة إذا كنت لا تدري في بعض الدول يقود
الكولونيلات حربا ضد السلطات المركزية .. يقودون إنقلابات ،
إشتراكية أو إسلامية أو ليبرالية أو يقودون حربا ضد كرتيلات
المخدرات ...

في بلادنا أكثر هذا النوع من البشر .
فقدوا ... م .. وكثرت الصراخير في المدن ، أبة علاقة
بين الشك ..

من فعل هذا .. يا هذا .

للكولونيل صدقاء من المدنيين أكثر من العسكريين أحضرهم كي
... بهذا العيد في هذه الشكنة ، معنا نحن الذين لم تمنح لنا
عطلة .

وشوش ضابط احتياط ، فريج معهد الحقوق ، صديقا بجالسه ،
أدركت أن المقصود في حديثهما حضرة الكولونيل ، ليس غيره .
- منذ أن ذبح أهاء ، وشاهد الدم يسيل بعنف من حنجرتي ، لم يعد
بإمكانه قبول رؤية الدم ولا حتى اللون الأحمر .

كره اللون الأحمر ليس موقفا إيديولوجيا ، فعلى العكس من ذلك
فالكوننيل صديق للشبوعيين ، لأنه يعتقد أن الشبوعيين ، لموقف
ضعف أو موقف مبدئي هم وحدهم دعاة السلم والسلام .
هو لا ينكر أنه حاربهم أيام ثورة التحرير ، وأنه أشرف على تدريب
الطلبة الذين أدخلوا الخدمة الوطنية غصبا عنهم في بداية السبعينات
بعد أن حلت منظماتهم الطلابية الماركسية .

- دريتهم و تعلمت منهم الكثير .

حضرة الكوننيل يأكل اللحم المشوي - لحم أضحية العيد ، بطريقة
غير عسكرية .

كان الكوننيل يضع < سريته > على صدره ، و يقطع اللحم المشوي
بسكين ، بدا لي شاذ المنظر .

الكوننيل من هواة مشاهدة أفلام عقدا الطيران و البحرية
الأمريكية .

بقايا بشور الجدي علي وجهه و كذا فلفحة أنفه تؤكد رغبة أصوله .
قال البربري :

- لم أعد أتبع حركات يده ، و هي تعالج قطعة اللحم بالسكين ، و
لا طريقة المضغ و لا حتى حركات الضباط الذين أقل رتبة منه ، و
الذين في حضرة ضاعت منهم الثقة بالنفس و بالجسد الذي يخفونه
تحت اللباس الكاكي ، أمام جنود كتائب الخدمة الوطنية .

هذا الموقف سمح لي بالأكل بكل إطمئنان .

لم يطل جلوس الكولونيل إلى الطاولة .

قام فقام الجميع .

هدأت الأفكار عن طعن الأكل .

أدبنا له التحية رافقه البعض من المدنيين والعسكريين .

حين تطلعت في مشيئة كشفت جيدا العوج الذي يقدمه البسرى .

حين بلعته سيارة 505 السماوية اللون ، عاد الضباط الذين ظلوا إلى

الطاولة لممارسة الإرهاب ضلنا ، بعد أن كانوا في حضرته أرايب .

أمرنا أحدهم أن نخلي الطاولة .. لم يكن أمامي سوى أن أهجم على

فخذ الخروف المشوي لأسحب منه قطعة كبيرة ، وأنصرف .

المهم أننا عيّدنا مع الكولونيل ، لم تؤثر في تصرفات هؤلاء الضباط

الصغار .

حين كتبت لأمي رسالة أخبرها ، أنني بخير وأن رمضان الكريم ،

شهر التوبة والغفران ، قد مضى على الرغم من كل مأساة ، فرمضان

في الشكنة رمضانان ، و أنني عيّدت مع الكولونيل وأنا أكلنا من

طاولة واحدة .

فرحت أمي حد الخوف .

كتبت لي أمي رسالة بخط أختي التي أخرجوها من المدرسة و في حلقها حلم أن تكون معلمة أو طبيبة .

معلمة الرياضة هي السبب في ذلك ، قالت لأختي تستطيعين أن تكوني راقصة باليه ناجحة ، جسدك مصنوع لذلك .

نقلت أختي هذا الكلام لأمي التي بدورها نقلته لأبي الذي بدوره نقله لأعمامي ، الذين بدوره نقلوه لزوجاتهم ، اللواتي بدوره نقلنه لجاراتهن اللواتي نقلنه لأزواجهن .

و قال الجميع : إن أختي ستكون راقصة .

البعض منهم قال إنه شاهدها ترقص في حفل بوهران ، راقصة إيقاع الراي ، و البعض الآخر قال أنه شاهدها في التلفزة الإسبانية TVE ترقص شبه عارية .

من يومها أغلقوا عليها الباب ، لكن أخبار رقصها ظلت تكبر و تكبر فهي تقيم حفلات و إنها إشترت لأبي فيلا على شاطئ البحر الأندلس .

أغلقوا عليها الباب ذات عودتها .

الجميع ينتظر أن يكبر نهذاها .

و أن يسيل الدم من جسدها ...

كأنما في بلادي جهلوا على حب الدم .

رضخت أختي للجميع ، كان عليها أن ترضخ سال الدم

ففرحت أمي و فرح إخوتي و خاف أبي و تعلق بها نظرات
أبناء العمومة .

هلت أختي مشغولة بحملها ، أن تكون راقصة باليه .
في غفلة من أنظار الجميع ، كانت ترقص تسند شقفة مرآة كبيرة علي
حائط الغرفة التي تتقاسمها مع جدتي التي فقدت نظرها منذ أربعة
شتات ، و مع عمتي المطلقة التي تمسك أخي الأكبر عشقا لا
تخفيه على أحد .

حتى أنها لا تترك الفرصة تفوتها كي تقبله في خلو الغرفة .
من أختي ، و تلمح بين لفتاتها و تداعب أشباه .
عمتي امرأة من نار ، لم تختلف مع زوجها على مال أو خلاقات أسرية
أو ما شابه ذلك ، خلافا معها أساسه السرير ، كان زوجها باردا ، كانت
عمتي فائضة دائما بهركانية ، لم ترد خيانتها لأنها كانت تحترمه و
تقدر فيه حبه لها و حبه للأطفال و حبه أيضا لمهنته و لحزبه الشيوعي
الذي يدافع عنه دون هوادة داخل المساجد حتى أنه فطن إلى الطريقة
للتأثير على الناس من المصلين إذا إرتبط بمصداقة مع إمام المسجد ،
فكان يكتب له خطب الجمعة يضمنها أفكار الحزب و إيديولوجيته ، هو
لم يكن يشرب خمرًا و لم يكن يكذب ، بعض رفاقه كانوا يشربون ،
مرة دخل عليه الإمام فوجدهم عنده ،^{٨٨} ولكنه كان يحبهم جدا كبيرا ،
جاء ليأخذ منه الخطبة كي يتمرن عليها ، كان عليه أن يجمع
الأصدقاء و الإمام في بيت واحد ...

إستطاع أن يمنع الإمام أن يجالس الرفاق و يتناقش معهم .
زوج عمتي رجل نادر . نقطة ضعفه جسده عمتي تقول لا يبدل ذاك
الرجل بمقداره ذهابا ... لكبر ...

كلما رقصت أختي أمام شقفة المرأة تذكرت أمي و كلما تلوى جسدها
اللهوب كجسد عمتي . إزداد كرهها لأمي و إزداد حبها لعمتي التي
كانت تقول لها :

- أفرغي جنونك في الرقص قسمي رغبة الجسد ورغبتين رغبة
الرقص و رغبة الرجل ... و أضيفي لها رغبة الفطس في
حوض الماء إنها رغبة عظيمة .

لم تتزوج أختي حتى الساعة ، هي تعرف علاقة أخي بعمتي . و هي
تتمنى لو أنها فقدت عينيها كما هي حال جدتي ، كي تترك
لعمتي حرية التصرف مع أخي .

أختي لم تكن لها جرأة القيام بما تقوم به عمتي .
أمي التي نلت ريش أختي . و تركتها دون طبران تعرف أن جارنا
الذي يؤذي هو الآخر الخدمة الوطنية في أقصى الجنوب .

و الذي قال عنه جارنا ، أنه على علاقة مبهمة مع ضابط سام .
أمي تنتظر خروج هذا الشاب من الخدمة الوطنية نهاية هذا الصيف ،
و أنه سيجي ليطلب يد أختي ، ربما لن أحضر أنا حفل زفافها .

أول ليس مهما حضور زواج أختي الأفضل أن لا تحضره أصلا .
منظر الناس جميعا و هم ينتظرون نهاية معركة الدخلة تزعجك ...
تجعل رجلك ترتجفان تفقدان توازنهما في إبقاء العلوي ،
بجناحك إحساس غريب تفقد فيه رجولتك .

7 يجب أن لا تخرج الأخت من بيت أبيها ، عليها أن تكون
زوجة لأخيها ، ذلك يجعل وجوهنا حمراء كل أصبح يدخل خاتمه .
كان الغزواتي يعالج < فكرون > الحقيبة البحرية أخرج منها لوازم
الحلاقة ، وضع المعجون على وجهه ، و علق :
- شفرات الحلاقة مفقودة و أسعارها تكوي ، شغل جهاز الراديو .
- بالنسبة إلى العبد مع الوالدة يساري الدنيا و ما فيها ، ليهذه
كولونيك الى الجحيم .

الهرري الذي يحرص المهجع أجاب :
- اللي جاء النقود عالي يقول .. عليه حامض .
توقف الغزواتي عن حلاقة وجهه ، بعد أن كان قد حصد
نصف رغوة صابون الحنك الأيسر الذي سال منه بعض الدم من جراه
حلق الشور و حب الشاب .
قال و هو مسح شيتا من الحقيبة بعد أن ترك أمور الحلاقة .

- هالك ذوق لحم أضحية العيد الحلال ، عيد الشككات حرام في حرام .
تناول منه الهريري القطعة دون أن يتكلم لحظتها هذا وجهه ملوحا
بالشمس بشكل واضح .

كنت أنتمع هذا الحوار ، و كان يتابعان ، حركاتي بكل دقة ، دون أن
يشعراني بذلك .

قال لي السرجان الذي رافقني :

هذا هو مهجع الدفعة الخاصة ، اختر لك سريرا ، أزيد من نصف
عدد أسرة المهجع فارغة .

هذان الجنديان لن يبقيا هنا ، الأول الذي عيّد في الشككة سيأخذ عطلة
تسعة أيام ، اليوم أو غدا .

أما الثاني فهو عائد من عطلة العيد و سيلتحق بكتيبته

لم أعر كلامه كبير اهتمام شعرت أنه يريد أن يشعرني بأنه عسكري
مهم إنه السرجان الذي يشرف على تدريب كتيبتنا .

لحياتي لا تزال يشعرها في وجهي .. مما أثار أنظار كل الجنود و
الضباط الذين مررت أمامهم ، الذي رافقني معرب .

فهمت ذلك من الحديث الذي بينه وبين الذي أمره أن يوصلني الى
الشاليه و الذي يحمل على كتفه البمنى لحمة و على يساره مثلها .

بدأت أبحث عن سرير يتوفر على قليل من النظافة ، قميصي الأبيض
 المكوي بدا شاذا في هذا المجمع حيث الأغنية < والكوفيرتات >
 المحضراء العسكرية برانحتها و أوساخها المرفرة .
 اخترت سريرا ، وضعت جانبا حقيبتي المدنية التي عليها علامة
 < لاكوست > قرش فاتح فاه يريد أن يهتلع ...
 سحبت حذائي من قدمي بطريقة كسولة .
 رتبت الفراش قليلا فكرت في الصديق الذي رمانني بالسيارة عند
 عتبة الشكنة و مضى يغازل النساء ، و يهتف < إلبيزات > كماداته
 كل سبت بعد العاشرة ليلا .
 صديقي هذا قبل أن يتلفن لإلبيزات .. يجهز طاولة عليها صحن
 < سلاطة > و شريحتان من لحم الحصان ، تفاحتان و بيضتان و كأسان
 و قنينة نبيذ ، < Mouflon D'or >
 < الأروية الذهبية > < ١ > و مثله < إلبيزات > تهين طاولتها على
 طريقتها الخاصة و هي في نهاية الخط خلف البئر .
 يملا صديقي الكأسين .
 كأس له و كأس لإلبيزات ، و مثله قلا كأسين واحد لها و واحد له ،
 يركب رقم تلفنها تكون هي محتضن جهاز التلفرن بين
 فخذيهما يحسبها بخير .

يسألها عن لباسها ، مثله تسأله يجيبها
 .. إني معبأنتي التي تحبينها .. بيضاء مغربية الصنع ، يابانية الخيط
 - كيف هي إفرقيا .
 ينضح صديقي ، و يجيب .
 - خالية لأنك لست فيها .. لا شيء عواء الذئاب و عواء إبن آوى
 وزئير الأسود و تدافع الدينا صورات .
 تضحك هي الأخرى ، و تقول :
 - هاريس مويشة باردة دونك .
 - يبدأ صديقي طقوسه ، بأمرها أن تنزع شبشبها تضحك إليزابيت -
 كأسك يا إليزابيت .
 - كأسك يا أهدو .
 يشرب كأسها ثم كأسه ، ومثله تسرب كأسه ثم كأسها .
 يحكي لها عبدو عن بحثه الجامعي الذي يقوم على علاقة الفن
 التشكيلي المغربي بالمدارس الفنية في الغرب و خاصة فرنسا .
 تحب إليزابيت حديثه عن أسطورة الألوان ، حين كانت الألوان آلهة
 يطول الحديث .
 تشرب الكؤوس في نهاية الخط .
 يقرأ لها بعض القصائد التي يكتبها أصلا بالعربية و يترجمها
 لها إلى الفرنسية .

يقول لها : إن إمرء القيس هو جده الأول . إنه يملك وثيقة شجرة العائلة
تصعد حتى هذا الشاعر الكبير الذي لا يقل أهمية عن هو ميروس
و شكسبير و هودلير .

- ينزع عنه قشايته

- تنزع عنها << لاروب دو شامبر >>

- عاري أنا يا إليزابيث

- نعم يا أهدو .

يسحب عبده جسده يتعب إلى السرير . ومثله فحجر جسدها المرمرى
إلى السرير .. تفرغ مثل القطة رأسها إلى الأمام فتتأرجح على السرير ،
الرأس محل القدمين و القمين على المخدة و حده التليفون لا يفارق أذنها
يحمل عبده كأسه إلى السرير .

يلتهم جسد إليزابيث من خلال الخط و تلتهمه هي الأخرى .
يفلق الخط...

قائلا إلى السبت القادم .

- إلى السبت يا شاعري ..

تنتهي المكالمة .. بتقبلاً عهدي ما في جوفه يستسلم لنوم شعري كالأطفال .
قال الهريري وهو ينزل << الجريكانة >> الخلفة بقطعة ثوب < أتياس الثوب >
- هل تشرب ..

الواقع أنني لم أكن راغبا في الشرب ، ولكن الصمت الذي ران على المهجع
بعد خروج الغزواتي جعلني أقول له :
- نعم ...

أعطيني << الجريكانة >> حاول أن يفك الصمت ، الذي لم تستطيع
لا الاغنية الهريرية التي كان يردد ها ، و لا أخبار موجز منتصف النهار عن
تخطيط الطائرات و تقاتل اللبنانيين ، و انقلاب السودان ، من تخطيط رصاص
الصمت .
جرعت من الجريكانة .

عدت إلى التمدد على السرير كان البق أسراها بهاجمني .
المنظر مقزز .. مخيف .. نفضت << السريته >> ، من البق الزاحف
كالدهابات .. أسرع إلى الخارج تقيأت .
ضحك الهريري . قال بعد أن أدرك أنني أريد أن أخفي الأمر عنه :
- متعب هذا البق ، المهاجع كلها مليئة ، هذا المهجع أنظفها .

لم أرد . في اليوم التالي قال لنا القبطان المسؤول عن الدفعة الخاصة
بعد أن حدثنا في كل شئ ، من أنواع < الكاطر > إلى
< التليباتي >

- الحق > قالها بالفرنسية > ينجذب أكثر الى الدم من زمرة < O+ >
إيجاهي هذا ما أوضحتة لخاليل مخبرية .
و أنا O+ تجمعهم الجنود .

في لباسي الكاكي كنت منزعجا ساحة العلم بنهاها واسفلتها الساخن
تثير في إحساسا غريبا .

الكتائب تصطف أو تأتي لتأخذ مكانها في الساحة المستطيلة الشكل .
كنت أشعر أن أنظار الجميع موجهة الي ، توسط الساحة القبطان
المتهيج بطوله و تجومه ، كان لباسه غير منضبط ، و لحبته غير
محلوقه بشكل جيد .

الإحساس الذي إنتابني أول مرة و أنا أسمع و أشهد رفع العلم ، كان
إحساسا مليئا بالرغبة ، كانت الموسيقى المندلعة من مكبر صوت
المسجد الذي يستعمل للأذان و للغناء و للإعلانات و المناذاة على
الجنود و الضباط و ضباط الصف ، تثير في حنيننا إلى شئ ضيعته
في طريق ما ، الذين من حولي لم يكن الأمر يهمهم ، الوقوف
في ساحة العلم لا يعني لهم أكثر من أداء واجب يومي ثقبل ،
ينتظرون إنتهاه .

لكي يمتدحوا إلى النادي لمخطف كازوزة أو كازوزتين ، من الصعب الحصول على كازوزة ، هي معركة يجب أن تخوضها كي تصل إلى الهاتع .

حين تعرفنا على الضابط المسؤول على النادي ، قال لنا ، بعد أن أصبح حصولنا على الكازوزة شيئاً بسيطاً .
إذ أنه كلف الجنود بإحضارها حتي مهجئنا .

- قول الشكئة بالكازوزة من مصنع يعود لواحد من الضباط الكبار في الشكئة ، أخوه هو الذي يقوم بذلك .

على كل حال إنه ليس ذلك القبطان ، لأن القبطان الطويل القد و الأسمر جداً يقال أنه يصرف أمواله كلها على النساء ، يملك شقتين في ضواحي وهران لهذا الغرض .

إنه قتل زوجته حين أدرك أنها تخونه مع بائع المواد الغذائية قتلها و هو يضحك ، ولم يستطع الطبيب أن يكتشف أثر ذلك على جسدها ، الطبيب هو الذي أملى عليه الفكرة .

الذين سكروا معه قالوا ، والله أعلم ، أنه مع كل سكرة كان يعبد تمثيل عملية القتل بكل تفاصيلها ، ثم يصرخ بأعلى صوته مردداً إسم زوجته ، يشرب ما يلقاه أمامه و ينام .
مسكين هذا القبطان يحس شفتيه بطريقة مزعجة و مضحكة .

قال الجندي الذي يلف إلى يميني :

- هذا القبطان

ضحك أفراد الكتيبة دفعة واحدة ، مما جعل السرجان الذي يتولى إعطاء < الإيعاز > يشك في نفسه .

تتكون وجبة العشاء من كيس حليب يتقاسمه أربعة أو خمسة جنود ، وبضعتين سلوكتين بعدها يتجمع الجنود في حلقات أمام المهاجع ، يبدأون : الغناء والرقص والتنكيت ، كان الشريف أكثر أفراد الكتيبة ناقة ، قال لنا حين يدخل الجندي الشكنة عليه أن يتعلم قاموس << الوقاحة >> وأن يلف الكلام الجميل مع لباسه المدني ، في الشكنة عليه أن << ينظف >> لسانه من كل كلام نظيف .

أستريد : ريت رخييم ، دافئ ، بين يميني زوجته يهكي كالأطفال محمر عيناه ، يدمن رأسه بين ركبتيه يشهق حتى تطلع روحه ، يدخن بشراهة بصرخ بأعلى صوته كالمجنون .

- فاطمي ... فاطمي ...

ترتخي عضلاته ، كأنها يمارس طقوس اليوغا ، يسحب < نصرو > إلى وسط الحلقة ، يتغبر الإيقاع ، يرقصان ، يتدخل الآخرون ... يتحول المشهد من ميلود دراما فردية إلى رقصة هزلية جماعية . نصرو شكل آخر خفيف رائق ورائع ، رجل من صفاء و نكت ، يخرج قلبه بين يديه .

وفتتح أفراحه و أفراح الآخرين و مضحك له قدرة هائلة على تقليد كل أساتذته ، الآن فقط أكتشف لماذا تخصص هذا الشاب في المسرح ، إنه لم يخطئ ذاته .

بحزم نصر و تشابيته بطريقة الدراويش ، ثم يرقص حتى يصبمت الجميع و يرقص .. يرقص حتى آخر الليل ، زكي هو الذي كان يرافق رقصاته يرق على < جريكانة > مثقوبة .. و زكي مسكون بالرقص و الفناء متفجر و عصبى و متهور ، بهرودة أعصاب يستعيد أمام الجميع ألياما هارسية ، وكيف أنه استطاع ذات إحتفال برأس السنة أن يوقف الساهرين في وضعية < الظهر إلى الحائط > مدة ساعة و ربع الساعة لا لشيئ إلا لأن أحد الفرنسيين تطاول علي امرأة مغربية و عبرها و أضحك الحاضرين عليها .

كان رجلا وحيدا في رأس السنة تلك . قالت له المغربية أمام الجميع أنت المسيح و لا مسيح سواك .

حين أطلق سراح رهاتته قبل ثلاث دقائق من الإعلان عن رأس السنة شربوا كأسه و اعترفوا بنصره .

قبلته المغربية كثيرا و نامت معه ، عاشت معه بعد تلك الحادثة ثلاثة عشر شهرا . كان لا يأكل من يدها سوى < الغريبة > المغربية و < الحريرة > المفلفة و < البسطيلا > كان عظيمها و يحب أن يأكل أكل العظماء .

زكي مثل نصرو لا تقام الجلسة في غياب أحدهما ، مسكونان
بالأغاني و رخصة الأكتاف .

موسطاش واحد آخر لا يمكنه أن يلم لسانه لينام قبل أن يغني أغنية
< قاطنة > لا يشعر بالزهو إلا حين يرددها معه الجميع ...

لا يلتحق المجتمعون إلا ليقفوا واحدا أثر الآخر من على السور
المحوط للشكنة في إتجاه القرية الصغيرة للعشاء .

الفريت و الأمليت و بعض شرائع الكبد المشوي .. إنها < بوسطن -
سيتي > ... هكنا سماها الجنود .

الأخضر و حيد في الدنيا ، مقبل على الحياة بعنف ، ملك الجميع ،
قلبه في يده ، منذ أن دخل الشكنة إختار سريرا في أقصى زاوية
الركن الأيمن ، قال الأخضر بلمهجته الندرومية .

أبناء المدينة الذين إجتازوا محنة الخدمة الوطنية قالوا لي ، نوصيك
أن تختار السرير الأبعد عن الباب حتى تستفيد من الوقت الذي
يقضيه السرجان في إنهاض الجنود ، من النوم فأت آخر من يصله
ركله

و شتمة و سبابة.

على هنيهة نظارة سبكة الزجاج ، أكول ، و كسول يدخل القلب
بسرعة يكسر كل الذي بينك و بينه في رمشة عين ، جاء الشكنة
يحصل حكايته .

لا يتحرج من ذكر كل ما في بطنه .
تلك الليلة بعد أن تسلقنا سور الشكنة ، شربنا كثيرا ، كان علينا
أن نشرب كثيرا ، كي ننسى كثيرا ، أو هكنا هذا لنا الأمر الأخضر
بحب رائحة < الكمومير > الكريهة ، يضع أنفه في الكاغط الذي
يغلف الجبنة ، و يصرخ ...

- آه

قال أنه كان يفضل أن يلف الكمومير في فردة جورب و سخة ليلة
كاملة حتى يأكله مع النبيذ في اليوم التالي .
تلك الليلة شرب الأخضر بشراهة .. حتى تقبأ أمعاء و تقبأ
حكايته :

يوم لا كغيره من الأيام شتاء ثلجي ، و سماء فقدناها في الغيوم ،
توضأت الحاجة بماء دافئ كان عليها أن تقتصد قليلا من الماء المغلي
لقهوة العصر لتضيف إليه ماء باردا

كان على أختي التي تزوجت الآن بمدير مصلحة في شركة بيع قطع
الغيار للسيارات ، أن تخلي لأمي المرحاض كي تتوضأ لم تتأخر أُمي
في المرحاض ، فقد كنا ننتظرها كي نشرب قهوة الإفطار المزوجة
بالفلفل الأسود .

بسطت كماداتها بساطها الدومي و ركعت ركعات المغرب ،

ثم التحقت بالمائدة الدائرية ، بينما كنا نحن جالسين على السداري ،
ترهعت هي على < الهيدورة > في الأرض .
صمت أمي الحاجة .. هي لم تحج ، مع ذلك كل الجيران و غير الجيران
يطلقون عليها هذا اللقب .
- كان رمادي اللون ، صمت من رصاص .
الواقع أن أمي لم تكن تصلي إلا أيام شهر رمضان ، تبدأ صلاتها ليلة
الشك ، تصلي المشاء و الوتر و الشفع ، هي فخورة
بعادتها هذه و تعتبر أن لا صلاة سوى صلاة رمضان ، أما ما
سواها فهي نفاق في نفاق .
يوم لا كغيره من الأيام .. أكلت حبة تمر واحدة فرقت بها صيامها
.. ثم ماتت .
بتلك البساطة ماتت تمددت ، جمعتنا حولها ، ثم قالت لنا بعد أن
حاولت أن تبصق علفه < نواة > التمرة فلم تستطع .
- أنا ذاهبة ، العاشق الكبير يناديني ... أعينوا بعضكم بعضا .
بكينا .. قرقرت القهوة السوداء في بطني .. حين مررت عمتي يدها
على عيني أمي - وسحبت فوقها الإزار الأبيض .

شعرت بانتفاخ في طهنتي أذني ، صرخت بأعلى صوتي .. لم تتحرك
أمي و هي التي كانت تعرف صوتي و تميزه منذ كنت صغيرا
ألعب في الباحة مع أبناء الجيران ..
كانت كلما صرخت ظالما كنت أو مظلوما إلا و تلم النساء تسب
أم الذي تسب في إزعاجي .
حتى لقبوني بأبن أمه إذ كان الجميع يناديني < ولد رابحة > .
الآن أغمضت أمي عينيها ، فسبحان العينين المغمضتين ، يا الله كم
هو عميق سكوت الإنسان ، خاصة حين يكون الساكت أما .
كانت أمي تقرأ على < الهيدورة > تضعني قبالتها كالتلميذ
المغفل .

تطلب مني أن أفتح أذني جيدا ، كنت أقول لها :
أستطيع أن أفتح عيني جيدا لكنني لا أستطيع ذلك مع أذني ،
لا تعير كلامي أي إنتباه .
كانت تنظر في قدمي جيدا .. تحدث ما بين الأصابع كي تتحقق
جيدا من نظائتهما .

تفرح أمي حين تكون رجلاي نظفتين كنت أخاف أن أذهب
معهما إلى الحمام .
كانت تمسكني بين فخذيهما ، تخرج من كيس البلاستيك
< حجرا أحمر > ثم تبدأ في حك ظهري ، أصرخ حتى يزدق
وجهي و لكنها لا تبالي لصراخي ، ترش جسدي بالماء ثم تفركني

أحاول أن أهرب .. تصومنتي و يمتلئ جسدي رغبة ، شعري يكون
لحظتها ينقع في الفاسول البلدي > تشلله > بما قوي .. أشعر براحة
آنذلك يعجبني التفرج على منظر النساء العاريات ، لا شيء سوى
الأفخاذ ، والأجزاء المشعرة ، والنهود والأثداء المشدودة
و المرتخبة ، منظر قبيح لكنه مسل .. حين أدركت أمي أن عيني
تزوغ جهة أجساد النساء لم تعد تصحمني إلى الحمام معها .
حين جمعت أدهاش الحمام قلت لها أين أغراضي أنا قالت لي ستذهب
إبتداء من مساء هذا اليوم مع جارنا و أبنائه ، إذن لقد تغبر
كل شيء . في حمام الرجال عالم آخر ، على الرغم من أنه الحمام نفسه
الذي كنت أصحب أمي إليه ، الرجال مستورون ، و الكلام قليل ،
لا عراك و لا صراخ ، الأطفال قليلون .
حتى رائحة البول قليلة ، و الكلام الوقع قليل أيضا .
صباحان الله لأول مرة أدرك أن النساء هن الوقعات ، أما الرجال
فالسنتهم نظيفة .
لا يتجرأ أحدهم أن يخلع ستره من على جسده ، حتى جارنا حين
أراد أن يغسل بعض أطرافه قال لي أنظر هناك ...
كان يحك بعض مناطق جسده من تحت السترة .

كنت أقابل أمي ... وهي تهني .. لقد ذهب جزء من عقلها ، كنا نخفي
هذا عن الجيران ، كانت أختي الكبرى تتخرج من كلام أمي غير الموزون
إمام الزوار خاصة مايمس الحياء .

أمي تقابلني تهكي و تقول :

-أتعبتني هذه المدينة التي تحاصر نفسها بدمها الحامل كل أمراض العيون
والصدر و الجنون وعاهات أخرى .

الرجال لا يتخلفون عن ركعة واحدة ، جميعهم يريدون أداء الصلاة خلف
الإمام مباشرة ... فتلك أماكن صلاة الوجهاء و الوجاهة .

يجلس الرجال عند عتبة المسجد يدخلون الحشيش ، يغازلون النساء ،

الجزائريون و الحضارون و الدرازون و بائعو الخيوط النسيجية و خياطو
الجلابيب المغربية و بائعو قطع الأثواب جميعهم يجلسون ساعة العصر إلى
عتبات دكاكينهم ينشون الذهب بمروحات مصنوعة من الدوم أو الحلفاء ،
يحدثون في سيقان النساء .

التجار كذايون يابني .. لا أعتقد أن النبي كان تاجرا ، الأنبياء لا يكونون
تجارا ... الأنبياء شعراء أو مجانين .

يقسمون بالقبض على شباك النبي و يقسمون ظهر الزبون .

بعد أن دفنا أباك الذي جاءت عليه < الشبنة > مع أربعين نفس من الحي
طلب أحدهم مني الزواج ، قالها لي دون حياء ، لم يكن قد مضى على دفن
أبيك أزيد من ثلاثة أسابيع .

-ننزوج و نتعاون على هم الدنيا

نشتغل في تهريب الحشيش و خبط القيثارة و العود من المغرب
و الشام و تركيا و إسبانيا .

كاد الشيطان ذا القرنين الله يلعنه أن يلعب بعقلي .

الفيلات التي محاصر المدينة في الشمال و الغرب تشير في حس
الإختناق كلما كبرت الفيلات و علت تقزمت دارنا و إختفت ، و
إختفينا و تقزمتا بداخلها و هدت وسط مهرجان الأقواس و الألوان و
الأضواء و الرخام و الزليج و الحجر المقصوص المستجلب من
إيطاليا و إسبانيا ، لطخة مقبحة .

الذين أقاموا الفيلات لم يكونوا قادة أيام فرنسا ، ولم يكونوا قادة
سنوات الثورة التحريرية التي حرروها حريرة ، جميعهم هربوا
إلى وجدة و تونس .

لم يستطيعوا الإستقرار في هذه المدينة فهي مدينة بلا هوية ،
مدينة المعاهرو عبور أنواع التهريب المختلفة .

كانت وجدة بفوضاها تدفعهم إلى الداخل إلى فاس أو الدار البيضاء
أو منها إلى إسطنبول و تونس ، قاموا في هذه المدن تجاراتهم ،
لاحقت الثورة بعضهم ، لكن حرارة الثورة و قبضانها لم يترك الوقت
الكافي للمحاسبة و المتابعة ، الذين أقاموا هذه البناات ،

تعلموا الموسيقى الأندلسية ورثوها عن أجدادهم ذوي الدم المختلط
الإسباني اليهودي التركي والعربي والبربري ، حين هاجروا إلى
المغرب وتركوا لم يستطعوا الإستقرار بتونس لشئ غامض ، نقلوا
أموالهم وذهبهم وآلاتهم الموسيقية وبناتهم ، تعرفوا على يهود
المغرب فتعلموا منهم فن التجارة ، و فن التكتل و فن خفة اللسان
و قوة الغرز ، كان اليهود يقولون :

هؤلاء هم أبناء عمرو متنا . دخلوا حرفة النسيج فنافسوه ، و خاضوا
سوق الصباغة فأبدعوا ، حتى أن اليهود ، في مدن كثيرة ، بدأوا
يشكون مزاحمة هؤلاء القادمين من ندرومة .

حين شب الصراع بينهم وبين اليهود ، بحثوا أكبر عبقر في الموسيقى
إلى < الحاخام > اليهودي . تشاور معهم ليلتين بنهارهما وزاد نصف
نهار ، بعد ذلك تم الإتفاق سرها على توزيع خارطة لمجارة ، الذهب و
النسيج في فاس و تلمسان و ندرومة و قسنطينة و بليدة و تيميمون ،
بعد هذه الحادثة بسنة إحترم فيها الطرفان حرمة التجارة
و الموسيقى و الشعر .

فقد نبغ من الطرفان شعراء و فلاسفة و حكماء سمح هذا الفضاء
الثقافي بالتزاوج فيما بينهم ، و قد أحبوا أول زواج مختلط ، حفلات
دامت شهر الحرام الإسلامي ، و مثله في التقويم اليهودي ، كانت
العروسة متهتجة فقد خرقت تاريخا من الخوف بين أبناء العمومة .

تلك اللبلة جيء بالموسيقى الكبير ليعزف سبعة أيام في بيت
العريس و مثلها في بيت العروس ، و قد وجد ميتا بعد إنتهاء
مهمته حزن عليه الجميع فكان أول عبد مشترك للحزن .
كان الموسيقي فخورا بموته هنا .

بنوا له نصبا تذكاريا عند سوق الصباغة من الرصاص الخالص
ووضعوا عينيه من ذهب عيار 21 قيراط ، و كتبوا أبياتا شعرية
هند قلميه بما الذهب .

مرت الليالي .. قطار الليالي لا يتوقف .. نسى الناس أصلهم ، و
دفاعهم عن أصلهم .

إقترب الدم الذي إفترق ، تبادل الجميع ذات الألعاب و حمل البعض
لقب الآخر و حملت الزوجة لقب زوجها . و حمل الزوج لقب زوجته ،
و توسعت تجارة الحرير و النسيج و الذهب و خيوط أوتار الأعواد و
القيتارات ، و أضيفت إليها تجارة < الهلقة الفاسية > التي وصلت
تلمسان و ملبدة ، و قسنطينة ، و تونس و بلاد الشام ... إزدهرت
أيضا حرفة الخياطة خياطة < الجلالة > < المجهود > < و نصف المجهود >
بالله ماكننا نعتقد ذلك ، نسى الناس و لي الله الصالح الذي يعمر رحم
العافر و يعمر جيب الفقير و يفرح قلب الحزين و يعيد الرجال
إلى ديارهم ليسكنوا بين أفخاذ نسائهم شتاء و صيفا ...

صهحان الله نسي الناس الولي الصالح و عادوا لا يجلسون إلا عند
أقدام ثمال المغني الذي ردم بروحه الواد السحيق ما بين اليهود
و المسلمين .

كتمت عنه الأشعار ، ضرت حول ضريحه قبة مرمر و رخام بهاب
نحاسية صفراء منقوش عليها أبيات قرآنية و أحاديث و أبيات
من شعر الحمريات .

و جد الناس مدينتهم هكذا مليئة بالذهب و التجارة و مزارع النحل و
العسل الأصلي و رواتح البخور و < مشارد > الكسكي المصنوعة يوم
الجمعة و قلور < الدفين > من الخميس يوم السبت ، رائحة البهارات
و الشعائر ..

الأخضر النحيل ساهبا سارحا يتتبع بنوع من الكآبة عزف < السطايقي
كان ضروريا أن يمسخ نظارته .. لم يكن يبكي لكنه شعر أنه يجب أن
يبكي .

أبعد صوره أمه المرحومة من ذاكرته قليلا ، عشا أن تهعد صورة
الأم من الذاكرة .

جاء اليهود .. و لليهود صمت .. صمت الأتهار البتي تريد أن تفيض
صهنا .. علاموا لانها قهارة ...

تعلم أبناء المدينة الحساب .. فمنعوا تدريس المواد الأخرى فأصروا
أن يعملوا أبنائهم الحساب و سورة الفاتحة و أركان الإسلام الخمسة
و بعض أشعار أبي نواس و ابن سهيل و الموشحات ، يرفع الناس
في الحساب و تشكلت جمعيات لعلوم الحساب و كانت أعظمها
جمعية < جابر بن حبان > و جمعية < موسى بن ميمون > .
و قبل أن تتحول هاتان الجمعيتان إلى حزبين سياسيين يهدد
وحدة الدم و المصير ، إجتمع أعيان المدينة و كفروا < جابر بن حبان >
و مثله < موسى بن ميمون > وحلوا الجمعيتين و رقص الناس في تلك
الليلة مثلما رقصوا يوم أول عرس مشترك ، و نصبوا في الشوارع
الحيام و قدموا المأكولات و أقاموا أعراسا مشتركة ..
يقال إن المدينة إحتفلت ليلتها بأزيد من ثمانية و تسعين عرسا و أن
الموسيقار شهيد ينهض من قشاله النحاسي البراق يعزف مقطوعة
هي أصل كل موسيقى < ندرومة > من هذه المقطوعة خرجت
الموسيقى .
قالت الأم . قال لنا أبوك يا بني :
- تعلمنا منهم الفلسفة و تعلموا منا الشعر .
حين إمتزج دمننا . قال الطبيب الذي منهم .. حين لم يكن لنا طبيب ...
قال :
- هذا التزاوج و إختلاط الدم يمكنه أن يقضي على عاهات العيون
و العقول

الواقع أن المدينة كثر فيها المجانين ، من كل ثلاثة أسر توجد واحدة فيها مجنون .

هم مجانين و لكنهم يعشقون الموسيقى و بعضهم يتقن < الدرازة > و خياطة الجلابة .

تعلموا منا أشياء و تعلمنا منهم أشياء ، النساء تذهبن لحمام واحد و الرجال كذلك ، لكن الدم ظل يدور في مكانه حتى عاد لينتج عاهات .
ربما آنذاك قصد البعض الشام و فلسطين و أثيوبيا عن طريق باريس ، كانوا يتججون بالثورة الجزائرية ، سافروا إلى باريس و منها إلى فلسطين ، متأكد أنهم سيعودون إلى حوانتهم و حارتهم
فالسما التي فوق المدينة تنتظرهم .

رغم أن صوت < السطايفي > كان لا يزال يحثن الموقف الغرامي ، و بين الحين و الآخر يجرع قهوته من كأس البلاستيك ، إلا أن الأخضر يحتفل بأمه أكثر هذه التي تحاصره الآن ، يقول الأخضر .

- لم أتذكر أمي مثلما أتذكرها الآن .. لقد مضى على موتها أكثر من تسع سنوات .

كان الأخضر يتلذذ بحك أماكن قرص البق و يعيد بطريقة لا شعورية موضحة النظارة على أرنبة أنفه المائل إلى الطول قليلا و غير المتجانس مع عينيه الضيقتين المطموستين خلف زجاج سميك .

ظهيرة صيف ليست كأية ظهيرة ، عاد اليهود إلى حيهم ، داروا المدينة ،
في البداية خاف الأهالي من الحكومة ، و لم يتجرأوا على التحدث
إليهم ، الكبار كان بهم شوق كبير إلى معانقتهم ...
كانوا يرغبون في أن يفتحوا لبعضهم البعض القلوب و يستعيدوا أيام
الصياغة و خياطة الجلابه و الدراز و الهلغة الصفراء الفاسية .
كان الكبار من اليهود بهم حريق إلى الأسوار و الأرصفة و تراب
الطرق و الفهار العالق بين مفاصل الأبواب العتيقة .
و الكبار منا أيضا كان بهم شيء كثير .
قال جار لجاره :

- لقد كبر موسى نقص طوله ...

البعض منا .. أو لك الذين يمارسون المسمرة بدل التجارة
في حي اليهود أغلقوا الأبواب هذا المساء قالوا سيدخل اليهود إلى
محلاتهم و يطردونا منها ، معهم أوراق تثبت ملكية هذه المحلات ،
يبكون بهرقه .

يسترجعون العمر الذي مضى و الأجداد الذين رددوا الحكايات
و قرأوا الأشعار على هذه العتبات .

لا فندق في المدينة .. و حين سقط الليل من السماء ، إحتارت
انسلطات المحلية كيف و أين سيقضي هؤلاء اليهود ليلتهم
في مدينتهم .

قال اليهود :

- دعونا نقضي هذه الليلة هنا في هذا الشارع ، نستعيد صيفا من أصبافنا .. لكن حين سقط الليل تقدم الكبار إلى الكبار .. كبارنا من كبارهم .. إستعادوا عبق البخور البخور والفلسفة والأشعار والموسيقى .. إستضافوهم .. سمعت الموسيقى تصعد من الأحواش .. وفاحت في شوارع المدينة رائحة أكلة < الدفينة > .
الصغار الذين تربوا على رضاة الجمل السياسية الفارغة ، والذين حرروا فلسطين لا ناقصة ولا منقوصة والذين عاشروا الفلسطينيين في الأحياء الجامعية ، شربوا معهم الويسكي ودخنوا من عليهم سجاثر المارل بورو ، وركبوا معهم سيارات < الفورد > و < الشوفرولي > ... وحملوا معهم طاليات اللغات والأدب العربي .
الصغار هؤلاء إحتجوا ... وشكلوا حزبا دينيا ماركسيا ... ضد اليهود .

قال الأخضر في نفسه :

- آباءنا تعلموا من اليهود حرفة صباغة الذهب وصباغة البلغة والموسيقى ، فالشيخ غفور ليس إلا تلميذا صغيرا أمام أستاذه الكبير < بن سوسان > أما نحن فقد تعلمنا من الفلسطينيين ، تبديل العملة والمتاجرة في الدولار ومغازلة البنات وشرب الويسكي ...
وتعلمنا اللكنة اللبنانية ، وأنواع العطور الغربية الأصيلة والمغشوشة المصنوعة في بيروت أو عمان أو مدريد ...

مرات إشتعلت الحرب بيننا في الأحياء الجامعية إستعمل فيها
الطرفان العصي و الخناجر .

لقد أخذوا أجمل الفتيات .. واوغوهن بالدولار بالمارك و الفرنك
و أغرقوهن بالهدايا القادمة من قبرص و اليونان و الجوهر القادم
من الشام و اسطنبول و البحرين .

إستعاد الكهار القصائد و حكايا الغرام من الشبايبك المرصعة
بأصص الحب .

داهمت الشرطة الجميع ، طردت اليهود إلى ما وراء الحدود
البرية الغربية و نقلت كهارنا إلى العاصمة إلى صمت السجون
بتهمة تشكيل حزب إسمه < حزب معاهدة خيبر و الحديبية > .
أقفلت المدينة قلبها .. و نامت في نهارها ، و أقسم غفور أنه سيقلع
عن الغناء ، و أنه لا يتمنى أن يسمع أغانيه

< مولاة السالك الطويل > .. و عاد السماسرة إلى حي اليهود
فتحروا الأبواب ، نظفوا الحي بالماء المغلي و بدأوا يبيع السلع المهرمة من
المغرب و المصنوعة في معامل يهود المغرب .

سبحان المصير و سبحانك يا الله ، أنت الوحيد القادر ، و بعدك من
منحتهم من حكمتك قليلا .

أجمل اللحظات تلك التي تعقب تحية العلم عند نهاية التدريب ، كان
الجنود يتجمعون أمام < الشالبهات > تبدأ الحلقات
تتسع كلما برد الجو أكثر ، فالمنطقة ساخنة و شهر أوت
كما يقول الأهالي أكثر شهور السنة حرا .

« الموت و لا الفمري في أوت »

هذا المساء ... عشبة منعشة .. الدوش الهارد زاد في إنتعاشا و نشوة ..
شعرت برغبة في إلى الإستماع إلى « فيروز » أو « نجاة الصغيرة »
صوت نجاة شبنى .. ذاك أقوى مافيه ، شكلها لا يشير أي شعور من هذا
القبيل .

المطربة الناجحة هي التي تستطيع أن تشبق صوتها ... لولا شبقية
الأصوات لأغلقت الإذاعات المسموعة أبوابها ، و تحولت إلى مراكز للأحزاب
و حضائر للأغنام أو اصطبلات للابقار .

تشبق الصوت إمتاع فوق كل إمتاع .. المطربة الفاشلة هي التي تعوض
شبق الصوت بشبق الشكل الجسماني .

الإذاعة المربية أفسدت حضارة الشبق الصوتي

أين ليلى مراد و إسمهان و عبد الحمي

لست أدري لماذا صوت نجاة الصغيرة يذكرني بشيئ في رأسي يشبه
الإغتصاب .

أمام « الشالبيات » يتحلق الجنود و ضباط الخدمة الوطنية ...

لا وجود لنجاة الصغيرة ، أغلب الرسائل التي تخرج من الشكنة و المرسلة
من قبل الجنود إلى برنامج .

عما يظلمه المستمعون برنامج بارد و إختبار الأغاني فيه تافه ، أسماء
القصائد المهداة إليهن الأغاني من قبل الجنود هن من صنع الخيال ، لا
وجود لأغلهن .

يكذب الجندي في كل شئ وعلى كل شئ .. يكذب على أهله
إذ يقول حين يعود إلى دشرته ، بأنه أحسن قناص كتبته ، و بأنه
يعرف تفكيك و تركيب كل الأسلحة بما في ذلك الدبابات و الطائرات
الحرية التي شاهدها في إستعراض أول نوفمبر ... و أن تحت تصرفه
نصف جنود الشكنة "لغ عددهم أزيد من ثمانمائة ، و أنه إستطاع
ذات ... أن يجعل قائد الشكنة في وضعية الإبطاح لأن هذا الأخير
أراد أن ... يخل الشكنة دون علم منه بكلمة السر .

صاير : البشاري الأسود اللون يصفق تصفيقة رائعة بغني صاهرو
صرو و يردد معه أغنية تقال في الإحتفالات و المواسم
رائعة رفعة نصرو و مثله صاهرو .

بفضول الجندي الأزرق أردت أن أكشف الشكنة جيدا ، متخلصا من
المشبة العسكرية ، إندفعت بين المهاجع البعيدة و الأشجار المحيطة ،
صوت لمحاة الصغيرة الشبقي يثير في رغبة القفز من على السور ،
و الذهاب إلى القرية الصغيرة المجاورة ، حيث حول أحدهم منزله إلى
بار و دار المواعد و سماع أغاني الراي لم أكن أرغب في تعكير صورة
< لمحاة الصغيرة > فكرت في العودة للتشارد مع نصرو حول فكرة
القفز من على السور و الهرب من الشكنة لقضاء ليلة هناك .

لكن رغبة إكتشاف الشكنة في مثل هذه اللحظات كانت أقوى
 من أي شيء آخر . أن ننتبه الى ما حولنا ، أن نعرف الأشجار التي
 ترانا ، لا نراها . أن نعرف الجدران التي تلبسنا و لا نراها ، هذا
 إحساس شاعر و ليس جندي . ضحكت من نفسي .
 جندي عاري الصدر يقسم أنه رآها يوم الخميس الماضي ، وأنه مستعد
 أن يقضي 24 شهرا في < التوقيف > مقابل أن يراها كل أسبوع .
 الجنود الذين من حوله يسمعون ضاح منهم الكلام ، يهدوا أن الجندي
 المتحدث بهالغ في الحديث ، يعرض أمامهم صورة لفاتن امرأة ،
 يهدوا أنه لم يرها سوى في المنام أو على صفحة مجلة .
 الذين من حوله يعرفون أنه يكذب و أن مثل هذا التحذير لا يمكنه أن
 يصل الى جسد امرأة مثل التي يصف ، و لكن على الرغم من كل
 ذلك كانوا يستلذون كلامه . جميعهم كانوا مستعدين
 أن يقسموا بالله و الستين حزبا أن ما يقوله صحيح ، حتى
 لا يتوقف عن الكلام .
 للكلام شهيته ، و للحكاية جسد كالمرأة الأسطورية ، جسد
 بسرة جميلة .
 كان المتحدث مدركا أن الذين حوله يدركون أنه يكذب و لكنهم
 مستعدون للقسم و الشهادة على صحة ما يقول لذا كان المتحدث
 * متهيجا يمدق في أجزاء جسد المرأة قطعة قطعة

تقنيت لو كنت مع المتحلقين حوله ، الذين ما فتوا يقدمون له تارة
< الشمة > وأخرى أنصاف السجائر وأرباعها ومرات يمد له واحد
منهم سيجارته دون أن تغادر أصبعيه .. بسحب المتحدث يتدحرج
الدخان الى الداخل فيخرج كلاما كالسحاب .

أعجبني كذبه ، و أعجبني المراة التي يصفها ، قلت كان من الممكن
أن يكون هذا المتحدث نحاتا عظيما فتركيزه على الأرداف والعجز و
الورك والفخذين والعميون والبطن والمواضع المشعرة كالرأس و
الإبطين والعانة والحواجب والأشعار والمواقع المرداء كصفحة الوجه و
البطن والسرة والساقين ، تؤكد موهبة في فقد الأحجام .. و قلت في
نفسى أيضا كان من الممكن أن يكون روائيا فقوته على السرد
تجعلنى أشك في إمكانيات

< غارسيا ماركيز > أو < رشيد بوجدرة > ، أنا لا أعرف روائيا اسمه
< الميلودي شغوم > ، اسمه يؤكد أمان يقيته ، لم ألتق به ، ولكن
لست أدري لماذا أعتقد أن يكون هذا المتحدث بشكل خرافي هو
الميلودي شغوم ، في الأمر شئ ما .

لا بد وأن يكون < الميلودي شغوم > هكذا ، بهذا الشكل الذي أرى
وبهذه الخرافية ، وبهذا الكلام الهذلي السحابي .. هذا لي أن سأل
عن شغوم .. لكنني خفت أن أفسد على المستمعين لذة الحديث ، لذة
للمشاهدة ، المتحدث يتلوى مع المشاهد كالأنقى ، والذين

حولهم غائبون .

كان علي أن أواصل جولتي ، فأنا أريد أن أكسر الحياة
التي نعيشها في الشكنة .

فها هنا في الشكنة تبحث عن نفسك فلا تجدها رلا هناك عند الجميع
... إنه فقر إلى الوجود الواحد الذي فيه نرى ذاتنا بقوة و صفاء .
ها هنا بما نصرو نحتاج الي أنفسنا .

أسير مع وحدي الهاربة من ظل الجماعة باحثة عن واحديتها ، سعادك
بالله فأنت الوحيد الواحد لن تضيع لي أحد ، مساكين المتصوفة !!
الحلاج أراد أن يكون أنت ، أراد أن يغفلك عن عشقك لذاتك
فأعدموه ، يستحق ذلك .

هذا المتحدث ، هذا المبلودي شغوم هل يعبدا الى وحدنا ، أم يدخلنا
في الآخرين .. لست أدري ، ربما يكون رشيد الذي يهتم كثيرا
< بهجيرار جنيت > و < تود روف > قادرا على الجواب على مثل
هذه الأسئلة التي تدخل أنفها في روائح الآخرين .

هذه عشية .. أنا فيها شاعر ، بما أنني وحدي .. أتفرس الأشجار و
أسمع المبلودي شغوم يتهبأ لكتابة رواية . هكذا يقوم الروائيون
ببروفات نصوصهم .

الناس من صفرها تتعلم الصدق و نحن نتعمق في الكذب .. كأسك
باشغوم يا ابن الشلحية .

آه هي المرة الأولى التي أرى فيها شجرا في الشكنة .

قبل أن أحدثكم عن هذه الأشجار كنت أمر أمامها فتهرب مني ،

الآن ها هي موجودة و هي نوعان : - البتولا و الخروب .

الشكنة التي نحن فيها نقضي تدريبنا العسكري تسمى < أوفينيون >

لا أعرف بالضبط كيف يرسم هذا الإسم و لا يهمني ما يعنيه ، لأن

كل الأسماء الفرنسية في الجزائر هي إما أسماء قادة عسكريين أو رجال

دين ، و نحن بعد الإستقلال سقطنا في ذات الفخ ، فسمينا الأماكن

بأسماء العساكر أو أولياء الله و الدراويش .

ورثنا كل شئ عن فرنسا ، هي فينا في كل شئ حتي في الأسماء ،

كل أسماء الجزائريين رد فعل ضد أسماء الفرنسيين .

صديق لي إستدعى ذات مرة إلى مركز المخابرات في مدينة ، حين

حضر وجد شأها وسيما ، في إستقباله بعد أن إستجوبه البواب

إستجوابا دقيقا لم يترك شيئا لم يسأله عنه ، حتى رقم حذائه و لون

سرواله الداخلي .

الشاب خريج معهد الحقوق ، تذكرنا بعضهما البعض ، و أخفى كلاهما
عن الثاني ذلك ، كان لطيفا ، و على الطريقة الشرقية غير
المعهودة عندنا قدم له سيجارة ، قال الصديق في نفسه :
- جاءت في وقتها .. إنني أشعر برغبة الى تدخين أي شيء .
قبله .. كان الوسيم مبتسما .. دخلت فتاة تجاوزت الخامسة
و الثلاثين من عمرها بمصدر عامر و قلب خال ، لم يثرني حضورها .
جلست خلف مكتب صغير مقابل لمكتب السيد الوسيم ، فتحت سجلا
ضخما ، الآن بدأت رائحة العطر المغمس فيه جسمها تثيرني .. أعرف
هذا العطر .. إنه < روح البوازون > .
الوسيم يتكلم عن الجفاف و عن سحق الله على هزلاء القوم ... زمن
رديء . إختلطت فيه كل القيم ...
سألته مقدما له إستدعاء سلمني إياه رجل هوليس ..
- هذا منكم ؟
رفع نظارته المدلاة على صدره مبروطة بسلسلة ذهبية أو نحاسية ،
وضعها على عينيه بأناة ، و قال بعد صمت :
- نعم ... بسيط ... أنت فلان
سألني عن بعض أشياء لا أذكرها و لم يكن يريد أن يسألني عنها .

كان الأنبيق يتكلم لم أكن أسمع ما يقول ...

كان عقلي في الحصان الشبقي المعلق على صدر الفتاة ، كانت مهمومة
و منشغلة أكثر من اللازم ، لم أرد أن أشعرها بأنني أراقب إهتزاز
حصانها ، منظرها كالتصيدة .

كان الأنبيق يتكلم عن الصراع في بيروت و عن إسلامية لبنان ، و أن
مسيحية لبنان من صنع الإستعمار ، كان كلامه كالريح ... كنت
أسمعه يصفر هدلا عن إطلاق كلمات .

سألني عن مصدر الأسمين اللذين أطلقتهما على طفلي ، قلت له :

- ليس واحدة من زوجات الرسول << محمد >> << ص >> اللواتي
احترار و إختلف الفقهاء و المؤرخين و كتاب السيرة و رواتها حول عددهن
... هي واحدة .. أما إيقان فهو إسم أردت أن أخلد به بطلا
من أهمال روايات << دوستوفسكي >> ...

- إذن أنت إما شيوعي أو مسيحي ...

و قد وصلتنا معلومات على أنك قد شكلت حزبا مسيحيا ، وأنتك
ستدخل الإنتخابات البلدية بهذا الحزب ، و أن اليهود الذين أخفوا
دينهم طوال مدة الإستقلال قد عزموا على منحك أصواتهم .

كان يتكلم ، عيني على صدر السكرتيرة .. كانت قد بدأت تتعب
من الرقن على الآلة ... و بدأ حصانها يتعبان .

وحتى مو سيقى الشوينكوم في فمها موسيقاه التي تشبه إبقاع
سنفونية << بحيرة اليج >> قد خفتت .

قلت له مازحا :

- إذا كانت هذه الأسماء تزعجكم ، فأمنحوني ثمن خروفين أذهبهما
و أعبد تسميتهما من جديد .

ضحكت السكرتيرة .. تضاحك هو لضحك السكرتيرة أكتشف الآن
أن أسنانها ليست جميلة قميت لو زنها لم تضحك لقد أفسدت منظر
النافورتين على الصدر .

- طلب مني أن أغير إسمي الطفلين .

- أو على الأقل إسم الطفل .

حين أردت أن أخرج ، دقت النظر في السكرتيرة عيني عليها و عينه

علي ، كان يريد أن يتخلص مني كلما أمعنت النظر فيها .

صاحبة الحصانين النافرين كالمعلقات .. لم تبد أية حركة تجاهي .

لم يعجبها شكلي و لحيتي التي توحى بموفق جاد في الحياة ، إما نحو
اليمين أو نحو اليسار ، وهي لا تريد لا اليمين و لا اليسار ، تريد أن
تعيش كالسمكة تذهب في الاتجاهات بحاسة الريح و التيارات .

الليل ثقيل ... كلما أمعنت النظر في العمق كان الثقل الرصاصي

يزداد ، و جسمي يبحث عن كوة ضوء ، إبتعدت من دائرة المتحلقين .

حول الشاب الذي يشبه << المبلودي شقموم >> و جدتني مليتا
بالخوف الذي يشبه الشعر .

هذه الشكنة كانت في زمن مضى ، مركز تجمع خلق الجنود القادمين من
أركان الهلاد الأربعة

، إلى الجنوب نحو تندوف و موريطانيا ، و إلى الشرق حيث بليدة و
تيزي وزو و قسنطينة و إلى الغرب حيث تلمسان و مسيردا و المغرب
الأتصى ... و إلى الشمال حيث فرنسا و ألمانيا و الطليان
لا يزال آباؤنا يذكرون أيامهم في هذه الشكنة كانت
<< أوفينيون >> مصدرا للغناء الحزين .

كان علينا أن نفترق ، كنا نسحب خلفنا ذكريات صداقة الأهم
الصحة كان علينا أن نهكي ، بطرق كثيرة كان علينا أن نهكي .
لا يمكنك أن تتس صداقة السجن أو الشكنة .

كان الضابط القبطان الذي حدثنا عن حب < البق > لفصيلة الدم O+ و
الذي بحث يحدث أمه الموجودة بأقصى الجنوب عن طريق < التبليباتي > ،
كان القبطان واقفا في طوله الطويل يحك بشور حساسية جلده < الأقرصا >
، كان يحك ظهر ظاهر كفه بحنف ، ربما أثار إنتباه الضباط و الجنود
التواجدين في الساحة .

الحرارة شديدة ، مع أن النهار بدأ يقصر آذان المغرب تحرك من مكانه و كنا
آذان العشاء .

عادة السماح للأذان عادة ودرثها من أيام الريف حيث كنا نجتمع الى السور
الكبير في الدشرة ربع ساعة قبل آذان الإفطار ، أنا رغم أنني كنت أحب
صوت المؤذن إلا أن الذي كان يعجني في مثل هذا الإنتظار هو شحوب
وصفرة وجنتي إبنة عمي مليكة ، و لا زلت حتى الآن كلما سمعت آذان
المغرب إلا و تذكرت وجنتيها واستعدت صوت المؤذن الذي يكون قد مات ما
في ذلك شك ، أذكر أن اسمه كان الشيخ الطاهر .

باب الشكنة يبدو الآن ونحن وقوفاً في ساحة العلم كباب الجنة ، أقسم
بحليب أُمي إنه ليس هو نفسه الباب الذي دخلته ذات صباح باكراً بملعبتي
التي لم أحلقها منذ أن نهتت زغها .

الباب باب الشكنة يشبه الآن الأهواب التي تؤدي الى أسرة نساء يشدنا اخنوخ
إليه كلما ضاقت الدنيا أو شعرنا بالكبر ، الباب باب الشكنة يشبه - لست
أدري لماذا كل هذه المشاعر تجاه باب حديدي من مخلفات الفرنسيين - باب
مقبرة ينام فيها حبيب .

تدخل شاحنة عسكرية محملة بالكازوزا ينظر صاحبي الذي يقف مصطفيا الى
جانبي نظرة الي و نظرة أخرى الى القبطان ، الذي خطف هو الآخر بصره الى
الشاحنة التي تحمل الكازوزا

كان القبطان يخطب ، نحن كنا نستمع ، لست أدري هل كنت أستمع إليه أم الى آذان مغرب رمضان .. آذان الإفطار ، نحن لسنا في رمضان و أنا لا يهمني رمضان و لا العيد الصغير و لا الكبير .

القبطان يخطب يحدثنا عن الوطنية و شخير الشاحنة التي دب إليها مجموعة من الجنود لإنزال صناديق الكازوزا ، شخير الشاحنة يكبر و يكبر لكن القبطان لم يكن يشعر بأي إنزعاج ... و هو يخطب أسترجع الآن صورته و هو يعيد تفصيل مقتل زوجته بيديه الموشومتين ، اليمنى و شم عليها أفعى و الثانية رسم فوقها حروفا باليابانية ، يقول منتخرا أنه تعلمها في ليلة واحدة ، و أن اللغة اليابانية أسهل من اللغة العربية ، كتب القبطان و شما على ذراعه الأيمن < أموت لأجلك يا فتيحة > .

من هي فتيحة ، ربما إن الأمر غير ذي أهمية ، صديق كذاب قال إنها المرأة التي أشرت له < معمل الكازوزا > إلا أنها كرهت العيش معه فطلبت منه أن يطلقها مقابل أن تتنازل له عن المعمل الياباني الذي جاء ليعاين آلات المصنع هو الذي علمه كتابة هذه الجملة باليابانية ، و هو إضافة الى ذلك يعرف أداء التحية باللغة اليابانية ، و هو في بعض المجال يقول أن له جدا من أجناده الأوائل هاجر الى اليابان ، و ربما هو الذي أسس للإمبراطورية اليابانية .

حين يتحدث القبطان عن أصوله الباهانية يؤكد أمام الجميع بأن هناك من الباهانيين من هم طوال ، الأمر يكون هم الذين يقدمون الباهاني على أنه قزم القبطان يسير بين الصفوف يطلب من بعض الواقفين في الصف من الجنود أن يحلقوا رؤوسهم بطريقة إستهزاء .

« أنا لا أدري إن خيرة و عائشة معنا في الشكنة ... »

وقف أمامي نظر الى وجهي ، أنا لم أخلق لحبتي منذ أربعة أيام ، لم يقل شيئا ، لكنه كان يريد أن يقول شيئا .

الآن يدخل ساحة العلم ضابط آخر يحمل أوراقا في يديه ، قال نصرو ، هذا هو ضابط الذي ذهب هذا الصباح الى القطاع العسكري لإحضار قوائم أسماء دفعتنا التي أنهت تدريبها ، كلم القبطان الطويل الضابط البدن ، سكت كل من بالساحة ثم شرع البدن في تلاوة أسماء الدفعة المتخرجة .

كنت أفكر في عهدو الذي رمى هي ذات صباح باكرا في باب هذه الشكنة ذلك الباب الذي لم يعد هو نفسه الآن لقد غطته مسحة رومانية غريبة ، عاد عهدو الى وهران ليشرّب البيرة و مدخن ما رلهورو ، الان ها أنذا أستعيد لست أدري لماذا تليفونات الأسبوعية لإليزابيت التي تشبه في طقوسها صلاة الجمعة .

كان علينا أن نعود الى الشاليه أن لجمع أدهاشنا ، و أن نودع
 بعض الأصدقاء الذين فرزوا لأماكن صحراوية بعيدة ، كان علينا أن
 نرتبهم رثاء خاصا ، بعضهم كان يبكي ، كان علينا أن نعبد ما لقبر
 و ما لله كان علي أن أجمع هذه الأوراق التي كتبها بعناية .
 أخرج مصطفى قنينة < الشمانيا > ، كان ضاحكا قائلا :
 - هذه هي المفاجأة التي قلت لكم عنها ..
 فتح مصطفى القنينة ، طارت رغبة الشمانيا في سماء المهجع ،
 ضحكنا و خرجنا لبحر الحقائق لنعيد الى المخزن الألهة العسكرية ، كنا
 و لأول مرة في الشكنة بلباسنا المدني .
 مشاعر غريبة تسيطر علي و أنا أجتاز الساحة الرئيسية ، ماعادت
 الأشجار هي تلك الأشجار و الأرصفة ماعادت هي الأرصفة التي
 أفتشناها طويلا لغنائنا و سهراتنا .
 كان صديقي رشيد الذي يحب بارت و كريستيفا كثيرا يسير أمامي
 بجسده العريض ، الآن بدت لي مشية تشبه مشية رجال الدين
 المسيحي ، الآن فقط أربط بين مشيته و حكاية أخيه الذي أتهم
 بتأسيس حزب ديني مسيحي بتلمسان ، ربما لم يكن رشيد يتحدث عن
 أخيه بل عن نفسه ، و تلك حكاية أخرى من حكايات زمن الشكنة
 الأزرق .

سما الشكنة كانت دون لون ، شاب كان يصرخ بأعلى صوته ، لم يكن سكرانا ولا مشعشعا كان ذائبا كالزبدة من حرارة الفرح .
لا كي .. لا كي ... لا كي ...

يجنون سقط على الأرض حين وضع قدميه خارج الشكنة ، يتمرغ و يقبل الأرض و يبكي و يتحدث بالإسبانية تارة و بالألمانية تارة أخرى ، تحلقنا حولد في الهداية و جدنا في الحالة شيئا مما يضحك لكن الأمر تحول الى شيء آخر شعرت بهكا ، عميق و مثلي كان أصدقائي الآخرون . مصطفى كان يفكر في < حليلة > التي ستحضر له الليلة أكلة المفاجأة سيأتي . و يشرب كثيرا ، قال مصطفى ساكون الليلة شاعرا .

نصرو سيضع رأسه على فخذي الدمشقية التي جاء بها من سوريا ، و التي عانى لأجلها كثيرا ، سيكون له الليلة الوقت الكافي كي يستعيد معها شريط أحباء دمشق سيحدثها عن < باب توما > و < المزرعة > و < القصور > و < أبي رمانة > ، سيذكران الليلة مسرحيات < دريد لحام > و < نهاد قلعي > التي شاهدها معا في الشتاء و الصيف ، كان يسرقان لحظات للمس الأيدي ، هاهي الدمشقية أمامك .

سيارة الأجرة تتوقف و رشيد لا يفتاء يتحدث عن مفهوم النبوية
و مصطفى يضحك كالأطفال ، حديث رشيد كأحاديث رجال الدين في
جديته و رصائته ، هو الوحيد الذي ردم فرحة الخروج في قلبه و رغم
هذه الحركة و البهجة فقد وأصل حديثه عن جالك ديدا و كريستينا و
ميشال بيتور ، يذخن رشيد بطريقة مشيرة و يتحدث و كأنه يحاضر .
تبعنا نحن الخمسة سيارة الأجرة تنطلق بنا شمالا تجاه وهران حين
إلتفتنا ورانا كان القبطان الطويل بشبعنا و في عينيه دمعة ، كان
من بيتنا صديق له من نوع خاص ،إن العسكري كهذا القبطان لا يمكنه
أن يسيل دمعة . ربما .

ها أنذا قادم أيها الكلب ، سأركب أول باهور يخر عباب البحر المتوسط
لأتهيك قبل ثلاثة أيام ، سأقتص منك ، وشيت بي الى السلطات
الإسبانية التي رمت بي كالكلب في أول طائفة الى الجزائر العاصمة و
منها الى الشكنة ، هاهي الأيام أيها الوغد تعود سأعكر صفو حياتك
من جديد ، سأخطف منك زوجتك ، سأجعلها تهكي عند تمثالي
العاري بعضوه الجنسي المبالغ في كبر حجمه ، تلك موأمة زوجة
الأستاذ الجامعي بأيعاز من الشاعرة المقعدة ، كل فنان يرسم ما في
قلبه لا ما في الواقع ، هذه هديهة يجب التذكير بها ، مثل هذا
الكلام ذي الطبيعة التعليمية تعلمته من البروفيسور الجامعي في
ألمانيا و كذا أكده صديقي رشيد الذي قضى معي أيام الشكنة لم
يخرج في كل جده و هزله عن النبيوين .

ها أنذا قادم أيها الكلب سأنها أو في الباخرة والمهم أنني قادم إليك،
سأعود في البداية لأشتغل مع الشاعرة المقعدة لا بهم سأشتغل ما
كنت أشتغله قبل أن يرمى بي في الطائفة في تلك الليلة الشتوية
القيحة ، لا بهم سأزاحم كلب فيوليتا

سأشحن ثمن تذكرة إلى إسبانيا أو الأندلس سأصلي صلاة الجنائز
المتأخرة على طارق بن زياد .. سأناديه بأعلى ما في حنجرتي : يا
جدي العظيم يا طارق .. !!

سوف أهبكي عند القدمين الكسيتين للطفلة الشاعرة ،
سأقول لها :

- دمتا مشترك .. في آخر قمة .. في آخر نقطة حمراء يلتقي ...
سأقول لها :

- أتركيني ألحس ما بين فخذيك طوال حياتي ، المهم أنني لا أعود
إلى بلد يشبه الشكنة العسكرية بقبطان مصاب < بأقزما > .

سأتناوب أنا و كلهما على هذه المهمة ...
لكنني سأزاحم الكلب ، سأقنعها أن السنة الكلاب على الرغم من أنها
مشيرة ، إلا أن لها سلبيات كثيرة ، أولها أنها تطلق مادة شبه سامة
، تخلق حساسية ما ، وأن هذه المادة قد تسمم الجسد كله ، كما أنني
سأحكي لها حكاية أقسم لها فيها أنها صحيحة مائة في المائة ، و
حتى أن امرأة جميلة سجنها زوجها الذي ذهب الى الخدمة العسكرية
أيام الحرب العالمية الثانية ، و لم يترك معها سوى أمه و الكلب ،
فكانت المرأة الجميلة تمارس العملية مع الكلب ، وكانت الأم تدرك
ذلك جيدا ، و حفاظا على شرف إبنتها سترت العملية ، بل إنها هي
الأخرى كانت تقوم بذلك خفية عن زوجة إبنتها لكن الكلب هاجت
هائجته يوما ، فأكل عضويهما في ليلة واحدة ، فماتت الجميلة و
نجت الأم بأعجوبة ...

سأكذب و أكذب و أكذب ، سأقول لها ، لماذا تحتفظين بهذا الكلب ،
إن ألسنتنا نحن العرب في < حرشها > تشبه ألسنة الكلاب ، لأننا و
الكلاب من سلالة واحدة ..

- أنظري .. أنظري جيدا ، و أدلق لساني أمامها ..
يفتح فمه أمام المرأة المشفقة يدلق لسانه جيدا
- آه .. آه .. يا الزعاع ...

يمسك لسانه بيده ثم يسحبه .. قائلا :
- لتظل حتى تصبح أطول من لسان الكلب و أحرشمنه ..
سأتلذذ بالكذب ..

أجمل العسل هو العسل المعصور من لب الكذب .
لا أجمل من لذة الكذب .

سأخترع لها من رأسي عناوين كتب بالألمانية والعربية والإسبانية
ولغات أخرى لا أعرفها تتحدث عن أن للعرب والكلاب أصل
واحد ، و أن جدّهما الأول كان يسكن بمنطقة توجد على بعد
ما تتين و ثلاثة و عشرين كلم جنوب قصر حراء .. موطن
النعمان..

سأكذب و أكذب و أقطب حاجبي كي تقتنع بأن الذي أقوله صحيح
مائة في المائة ، أعرف أنها تحب الكلب أكثر مني ، لأنه وديع و غير
أكول ... يشرب معها < الوبسكي > بنظام .
ها أنذا في الشارع مليئا بالفراغ و التأمل .

— وهران - الغمري —

— صيف 1989 —

- أمين الزاوي -

أنجز طبعه على مطابع

طيوان المطبوعات ! جامعية

المطبعة الجهوية . بران



أبو عبدو البغل

<https://facebook.com/groups/abuab/>

منشورات قصر الثقافة و الفنون - وهران
ديسمبر 1993